دراسات قرآنية (2)

بحوث تفسيرية

(علم التفسير . الفاتحة)

دار المعارف الإسلامية الثقافية

الكتاب: دراسات قرآنية (2)بحوث تفسيريّة
(علم التفسير . الفاتحة)

تأليف: الشيخ مصطفى قصير قدس سره

مراجعة وتنسيق: مركز المعارف للمناهج والمتون التعليميّة

إصدار: دار المعارف الإسلامية الثقافية

الطبعة: الأولى - 2019م/1440هـ

تصميم وطباعة: DBOUK 009613336218

ISBN 978-614-467-???-?

books@almaaref.org.lb

00961 01 467 547

00961 76 960 347

موسوعة العلامة الشيخ مصطفى قصير العاملي

دراسات قرآنية (2)

بحوث تفسيرية

(علم التفسير ـ الفاتحة)

الجزء السادس

دار المعارف الإسلامية الثقافية

بسم الله الرحمن الرحیم

الفهرس

تمهيد 9

الفصل الأوّل : علم التفسير نشأته ومراحله 11

ما المراد من التفسير؟ 13

بطون القرآن 17

نشأة التفسير وتطوّره 19

مميّزات تفسير الصحابة 30

ملامح عصر التابعين في التفسير 41

الفصل الثاني: منهج التفسير عند الإمام الخمينيّ قدس سره 45

الحاجة إلى دراسة شخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره 47

أمّة في رجل 48

الإمام الخمينيّ قدس سره والقرآن الكريم 49

مناهج التفسير 51

علم التفسير في رؤية الإمام الخمينيّ قدس سره 52

منهج التفسير عند الإمام الخمينيّ قدس سره 56

أبرز معالم هذا المنهج ومميّزاته 59

الفصل الثالث: تفسير سورة الفاتحة 65

تعريف بالسورة 67

فضيلة السورة 68

البحث التفسيريّ 69

الآية (1) 69
عمق المعنى، وضعف الوسيلة 71
باء البسملة 74
الاسم وسيلة للتعلّق بالمسمّى..... 75
فائدة أخلاقيّة 77
موجبات نزول الرحمة الإلهيّة 79
الآية (2) 80
فما المراد من العالمين هنا؟..... 81
الآية (3) 83
الآية (4) 83
لماذا إنكار يوم الجزاء؟ 85
لماذا التأكيد على مالكيّة يوم الدين؟ 86
معنى ﴿يَوۡمِ﴾: 86
الآية (5) 86
لمعات تدبّريّة 88
مراتب العبادة بحسب مراتب العقيدة..... 89
الاستعانةُ بالوسيلة والاستعانةُ بالبشر..... 89
الآية (6) 90
معنى ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: 93
الآية (7) 94
مَن هم الذين أنعم الله عليهم؟..... 94
من هم المغضوب عليهم؟ ومن هم الضالّون؟ 95
الفصل الرابع: نماذج تفسير موضوعيّ 79
النموذج الأول: القرآن في القرآن 99
منهجيّة القرآن الكريم في الهداية 101

القرآن الكريم كتاب هداية 103
القرآن الكريم كتاب عبادة 104
القرآن الكريم كتاب شفاء 104
القرآن الكريم كتاب علم ومعرفة 105
النموذج الثاني : الجهاد في القرآن 107
تمهيد 109
الجهاد في القرآن 109
آيات القتال 113
النموذج الثالث: أهل البيت عليهم السلام والقرآن الكريم 119
تمهيد 121
العلاقة بين أهل البيت عليهم السلام والقرآن 122
لكن من هم الراسخون في العلم؟ 129
قائمة المصادر والمراجع 133

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

تمهيد

في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن أردتم عيش السعداء، وموت الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والظلّ يوم الحرور، والهدى يوم الضلالة، فادرسوا القرآن، فإنّه كلام الرحمن، وحرز من الشيطان، ورجحان في الميزان**»[1].

القرآن الكريم كتاب الله الذي أنزله على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيه أصول معارف الإسلام وقواعد شريعته، وهو كتاب هداية، وهو عهد الله -تعالى- بين أيدينا، قال -تعالى-: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

(1) السبزواريّ، الشيخ محمّد، معارج اليقين في أصول الدين، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، إيران - قم، 1410هـ - 1993م، ط1، ص115.
(2) سورة النحل، الآية 89.

فلا غنى لأحد من المسلمين عن قراءة القرآن وتلاوة آياته آناء الليل وأطراف النهار، والاستنارة بنوره، والاستظلال بفيئه، واتّباع سبيله، والاهتداء بهديه، وتلمّس معارفه وأحكامه، والاتّعاظ بمواعظه، والاستفادة من عبره، والأخذ بحججه.

وقد أمرنا الله -تعالى- أن نتدبّر آياته، وندرس ما فيه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[1].

وعلى طريق التدبّر في آيات القرآن ووعي مضامينها وفهم مراداتها، نشأ علم التفسير. فما المراد من التفسير؟ وما هي أصوله وقواعده؟ وما هي مناهجه ومسالكه؟ ومن هم الذين برعوا فيه، وأتقنوا صناعته؟ ما هي المراحل التي مرّ فيها في تطوّره؟ ذلك كلّه، نحاول أن نلقي الضوء عليه، قبل أن نتناول بعض النصوص التفسيريّة في محاولة لقراءتها ومقارنتها[2].

(1) سورة محمّد، الآية 24.

(2) لم يكمل سماحة الشيخ قدس سره دراسة كافة العناوين الواردة في هذه المقدِّمة إلا أننا أبقينا عليها كما هي.

الفصل الأوَّل

علم التفسير نشأته ومراحله

ما المراد من التفسير؟

الفَسْرُ في اللّغة: البيان، فَسَر الشيء يفسِره ويفسُرُه (بالكسر والضمّ) فَسراً، وفَسَّرَه: أبانه، والتفسير مثله.

قال ابن الأعرابي: «التفسير والتأويل، والمعنى واحد. وقوله -عزّ وجلّ-: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[1]؛ الفَسْرُ: كشف المغطّى، والتفسير كشف المراد عن اللّفظ المشكّل»[2].

فتفسير القرآن -إذاً- هو كشف المراد من آياته. وهو يطلق على الأمور الآتية:

1. بيان معاني المفردات اللفظيّة وَفق الأوضاع والاستعمالات اللغويّة. ويتحقّق ذلك بالرجوع إلى أهل اللّغة والعارفين بها، وبتتبّع استعمالات العرب، وهو أبسط مراتب التفسير، وربّما أخرجه بعض منها، وقد أُلّف في هذا المجال عدد من الكتب التي تهتمّ ببيان معاني المفردات الغريبة الواردة في القرآن الكريم، أمثال كتاب (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهانيّ (ت 502هـ).

(1) سورة الفرقان، الآية 33.

(2) ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب حوزه، قم المقدّسة، 1405هـ ق/ 1363هـ ش، لا.ط، ج5، ص55.

2. بيان معاني الجمل والهيئات التركيبيّة بشكل مبسّط، وحسب قواعد المخاطبات المتعارفة عند العرب، وهو ما يطلق عليه اسم (ظواهر الكتاب)؛ أي المعنى الظاهر، من قبيل قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾[1]، الذي يفيد النهي عن ارتكابه، ولزوم اجتنابه، حيث إنّ النهي عن الاقتراب يُفهم منه ذلك بحسب استعمالات العرب.

وثمّة عدد كبير من كتب التفسير المختصرة في هذا المجال، أحسب أنّ من أقدمها كتاب (معاني القرآن) لأبي زكريّا يحيى بن زيّاد الفرّاء (ت 207هـ).

3. كشف المراد من المفردات والعبارات المعروفة المعنى، ولكنّها تحتمل أكثر من وجه، أو اشتبه المراد منها على مستوى المصداق، من قبيل قوله -تعالى-: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[2]، فإنّ معنى اليقين واضح، لكنّه جعل هنا غاية أو نتيجة تحتاج إلى تحديد المراد منها، وذلك من خلال القرائن والدلالات الأخرى التي يمكن أن تكون قرآنيّة، ويمكن أن تكون حديثيّة. ومن هنا تمّ تحديد المراد باليقين في الآية على أنّه الموت، وذلك باعتباره أوان كشف الغطاء وظهور الحقيقة التي وعد بها القرآن الكريم، قال -تعالى-: ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾[3].

(1) سورة الإسراء، الآية 32.
(2) سورة الحجر، الآية 99.
(3) سورة ق، الآية 22.

وقد نقل المحدّث الجزائريّ في كتابه (الأنوار النعمانيّة) عن جمع من الصوفيّة أنّهم توهّموا أنّ المراد من اليقين الإيمان. ممّا دفعهم إلى الادّعاء بأنّ السالك إلى الله إذا بلغ درجة اليقين سقطت عنه التكاليف الإلهيّة العباديّة، ولم تجب عليه الصلاة ولا الصوم ولا الحجّ.

ومن هذا القبيل، قوله -تعالى-: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1].

حيث إنّه من الواضح أنّ الإحياء هنا ليس ببعث الحياة في الجسد بعد موته، وإنّما ظاهره الحفاظ على حياته، وإنقاذها من الموت؛ بدفع خطر، ومعالجة مرض، وأمثال ذلك. وقد يُتوسَّع هنا بالحياة لتشمل الهداية والإخراج من الضلال، باعتبار أنّ الضلالة هلكة وموت للبصيرة، والهداية نور وحياة.

وهذا المعنى هو المرويّ عن الإمام الباقر عليه السلام باعتباره تأويلها الأعظم، فعن فضيل بن يسار، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله -عزّ وجلّ- في كتابه: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[2]؟ قال: «**من حرق أو غرق**؟ قلت: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى؟ قال: **ذلك تأويلها الأعظم**»[3].

(1) سورة المائدة، الآية 32.
(2) السورة والآية نفسها.
(3) البرقيّ، أحمد بن محمّد بن خالد، المحاسن، تصحيح وتعليق: السيّد جلال الدين الحسينيّ، دار الكتب الإسلاميّة، إيران - طهران، 1370هـ - 1330 ش، لا.ط، ج1، ص232.

وعن سماعة، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾؟ قال: «**مَن أخرجها من ضلال إلى هدى فكأنّما أحياها، ومَن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها**»[1].

4. تأويل المتشابه وَفق القواعد والأصول الصحيحة، وهي تقتضي إمّا ردّ المتشابه إلى المحكم، أو الرجوع إلى الراسخين في العلم، وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الأطهار من أهل بيت النبوّة عليهم السلام.

في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام: «**مَن ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هُدي إلى صراط مستقيم...**»[2].

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّما يعرف القرآن من خوطب به**»[3]، وهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار. وقد ورد في عدد من الروايات أنّهم هم الراسخون في العلم، المقصودون في الآية الشريفة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾[4].

وفي هذا المجال من التفسير، زلّت الأقدام وتلاعبت الأهواء بقلوب أهل الزيغ وعقولهم، ففسّروا القرآن على غير هدى، ودون

(1) الكلينيّ، الشيخ محمّد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلاميّة، مطبعة حيدريّ، طهران، 1365هـ.ش، ط4، ج2، ص210.
(2) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تصحيح: الشيخ حسين الأعلميّ، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، لبنان - بيروت، 1404هـ - 1984م، لا.ط، ج1، ص261.
(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج8، ص311.
(4) سورة آل عمران، الآية 7.

حجّة، وحملوا كلام الله على غير ما أراده دون دليل، وفيه جاءت الآثار الناهية عن تفسير القرآن بالرأي والهوى.

فقد جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله -جلّ جلاله-: ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي، وما عرفني من شبّهني بخلقي، وما على ديني من استعمل القياس في ديني**»[1].

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إياك أن تفسّر القرآن برأيك حتّى تفقهه عن العلماء، فإنّه رُبّ تنزيل يشبه كلام البشر وهو كلام الله، وتأويله لا يشبه كلام البشر، كما ليس شيء من خلقه يشبهه، كذلك لا يشبه فعله -تعالى- شيئاً من أفعال البشر، ولا يشبّه شيء من كلامه بكلام البشر، فكلام الله -تبارك وتعالى- صفته، وكلام البشر أفعالهم، فلا تشبّه كلام الله بكلام البشر فتهلك وتضلّ**»[2].

بطون القرآن

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**ليس من القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن، وما من حرف إلّا وله تأويل، وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم**»[3].

(1) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، الأماليّ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة - مؤسّسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة، إيران - قم، 1417هـ، ط1، ص55.

(2) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، التوحيد، تصحيح وتعليق: السيّد هاشم الحسينيّ الطهرانيّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرّفة، إيران - قم، لا.ت، لا.ط، ص264 - 265.

(3) المجلسيّ، العلاّمة محمّد باقر بن محمّد تقيّ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، مؤسّسة الوفاء، لبنان - بيروت، 1403هـ - 1983م، ط2، ج33، ص155.

عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية: «**ما من آية إلّا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلّا وله حدّ يطلع**»، فقال: «**ظهر وبطن هو تأويلها، منه ما قد مضى ومنه ما لم يَجِيء... ونحن نعلمه**»[1].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن... وله بطن وظهر، ظاهره حكمة وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق**»[2].

يبدو أنّ بطون القرآن هي مراتب المعنى العميقة التي تحتاج إلى قدرات إدراكيّة متميّزة، وبصائر نافذة لكي يصل العالِم إلى بعضها؛ ذلك أنّ القرآن الكريم فيه تبيان كلّ شيء، كمّا نصّت آياته الشريفة، ولا يمكن بيان كلّ شيء لكلّ أحد، نظراً إلى اختلاف مستويات الناس من حيث القدرة على الإدراك والاستيعاب، وليس لكلّ أحد طاقة على تحمّل المعارف الدقيقة، إلّا إذا نمت مداركه وتوسّعت آفاقه وطهرت سريرته، فمن العلماء من يقتصر على إدراك الظاهر (إن وفّق لذلك)، ومنهم من يغوص فتنكشف له بعض مراتب الباطن وطبقاته، ومنهم الراسخون في العلم الذين أوغلوا فيه حتّى الأعماق، وهذا من وجوه إعجاز القرآن، بل هو مِن أعظمها وأجلّها، ذلك أنّه يخاطب الناس كلّهم على اختلاف مستوياتهم وقدراتهم الذهنيّة واستعداداتهم الإدراكيّة بكلام

(1) الصفّار، محمّد بن الحسن بن فرّوخ، بصائر الدرجات، تصحيح: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، منشورات الأعلميّ، إيران - طهران، 1404هـ - 1362ش، لا.ط، ص223.
(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص598.

واحد يتضمّن مستويات عدّة من العلم والحكمة والمعارف.

وليس الحجاب الساتر لتلك العلوم والمعارف من قبل القرآن نفسه، بل من قبل البشر أنفسهم؛ لأنّ أوعيتهم الإدراكيّة محدودة.

وعليه، فإنّ الاستعانة ببعض النصوص الحديثيّة الواردة في سياق الكشف عن بعض البطون يدخل في التفسير بلا شكّ، ولكنّ العبرة بالقدرة على تفهّم ذلك المستوى من المعنى، ومع العجز ينبغي التوقّف وردّ علمه إلى أهله، دون الخوض فيه، ولا اللّجوء إلى الإنكار أو التشكيك الذي يعمد إليه أحياناً من يجد في نفسه قصوراً عن إدراكه فيمتنع من الإقرار به والاعتراف بمحدوديّته.

نشأة التفسير وتطوّره

بدأ تفسير القرآن منذ عصر مبكّر جدّاً، بل يمكن القول: إنّ التفسير رافق القرآن منذ نزوله، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المفسّر الأوّل لآياته، ثمّ عمل أمير المؤمنين عليه السلام بأمر منه صلى الله عليه وآله وسلم على تفسير ما أُشكل من الكتاب، واشتهر من الصحابة عدد من المفسّرين، وهكذا في كلّ عصر، حتّى عصرنا الحاضر. وقد أخذ التفسير في كلّ عصر شكلاً وخصائص تتناسب مع ظروف العصر ومستوى اهتمامات علمائه، فمرّ بمراحل من التطوّر -إن صحّ التعبير-؛ ولذا قسّم إلى عصور:

أوّلاً: عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

قال -تعالى- في كتابه الكريم: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو المرجع الأوّل لفهم غوامض الآيات وحلّ مشكلاتها؛ إذ كان عليه البيان كما كان عليه البلاغ، فقام صلى الله عليه وآله وسلم بتفصيل ما أجمله القرآن، وبيان ما أُبهم على الناس.

وقد تجاوز هذا الدورُ البيانَ التفسيريّ إلى البيان التشريعيّ الذي كان لا بدّ منه، حيث جاء القرآن الكريم بالعديد من الأحكام التي تُرك بيان كيفيّتها وتفاصيلها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال -تعالى-: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[2]، و﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[3]، فبيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيفيّة الصلاة وأحكامها وقال: «**صلّوا كما رأيتموني أُصلّي...**»[4]، ونزل قوله -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾[5]، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**خذوا عنّي مناسككم...**»[6]، وهكذا.

---

(1) سورة النحل، الآية 44.
(2) سورة الأنعام، الآية 72.
(3) سورة النساء، الآية 103.
(4) البيهقيّ، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، دار الفكر، لبنان - بيروت، لا.ت، لا.ط، ج2، ص345.
(5) سورة آل عمران، الآية 97.
(6) السيّد المرتضى، عليّ بن الحسين الموسويّ، الانتصار، تحقيق: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرّفة، إيران - قم، 1415هـ، لا.ط، ص254.

فما جاء في الشريعة كلّه من فروع لأحكام العبادات والفرائض والسنن والمعاملات والأنظمة والسياسات يدخل في تفصيل ما أجمله القرآن الكريم.

وأوّل من تلمّذ على رسول الله ﷺ في ذلك كلّه كان عليّاً، فقد روي عنه قوله: «**ولَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّه ﷺ مَنْ كَانَ يَسْأَلُه ويَسْتَفْهِمُه - حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الأَعْرَابِيُّ والطَّارِئُ - فَيَسْأَلَه عليه السلام حَتَّى يَسْمَعُوا - وكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُه عَنْه وحَفِظْتُه**»[1].

وإن كان المأثور بين أيدينا من التفسير المرويّ عن رسول الله ﷺ ليس بالكثير؛ فلأنّ عصر الرسول ﷺ كان أوفر حظّاً في القدرة على فهم المفردات، وإن كان أقلّ اهتماماً بالتفاصيل إذا قيس بالعصور اللاحقة، ولم يُنقل لنا كلّ ما صدر عن رسول الله ﷺ لا في التفسير، ولا في غيره من الأبواب، فالمأثور عنه -إذاً- قليل، لكنّهم رووا أنّهم كانوا إذا تعلّموا من النبيّ ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتّى يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: «فتعلّمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً»[2]. فدلّ ذلك على أنّ المأثور هو

(1) الشريف الرضيّ، محمّد بن الحسين، نهج البلاغة (الجامع لخطب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ورسائله وحكمه)، تحقيق: الصالح، دار الذخائر، مطبعة النهضة، قمّ المقدّسة، 1412هـ.ق/ 1370هـ.ش، ط1، ص327؛ أبو جعفر الإسكافي، محمد بن عبدالله المعتزلي، المعيار والموازنة، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، لا.ن، لا.م، 1402 - 1981م، ط1، ص304(باختلاف يسير).

(2) مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، قدم له وحققه و علق حواشيه: عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي - مجمع البحوث الإسلامية - إسلام آباد، لا.ن، لا.م، لا.ت، لا.ط، ج1، ص68.

القليل، ولكنّ الصادر عنه ﷺ كان كثيراً بلا شكّ. نعم، ما ورد عن طريق أهل البيت عليهم السلام من التفسير المأثور المستند إلى جدّهم الرسول ﷺ هو عدد وفير، ويمكن إدراجه ضمن طوائف عدّة من الأخبار:

1. ما ورد في تفصيل التشريعات والأحكام التي أجملها القرآن الكريم، وهو كثير جدّاً.
2. ما ورد في تخصيص عمومات القرآن الكريم أو تقييد مطلقاته.
3. ما ورد في بيان شرط أو مانع تعلّق بحكم أورده القرآن دون اشتراط.
4. ما ورد في السنّة من بيان للناسخ وتمييزه من المنسوخ.
5. ما ورد في تفصيل قصص الأنبياء والأمم الغابرة ممّا يعدّ تفسيراً وبياناً لبعض ما أعرض الكتاب عن ذكره اختصاراً؛ أو لأنّه خارج عن مقصوده.
6. ما ورد في ذكر تفاصيل يوم القيامة والبرزخ وأحوال المعاد ممّا أشار إليه القرآن إجمالاً.

وغير ذلك ممّا يجري مجراه. ولمزيد من التوضيح نذكر في المقام بعض الأمثلة:

سئل رسول الله ﷺ عن السائحين في قوله -تعالى-: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ﴾[1]، فقال: «**هم الصائمون**»[2].

(1) سورة التوبة، الآية 112.

(2) الحاكم النيسابوريّ، محمّد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1411هـ.ق/ 1990م، ط1، ج2، ص335.

ومنه ما ورد عنه ﷺ: «**سياحة أمّتي الصيام**»[1].

وسئل ﷺ عن الاستطاعة في قوله -تعالى-: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾[2]، فقال: «**الزاد والراحلة**»[3].

وسئل ﷺ عن قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾[4]، ما معنى عِضين؟ فقال: «**آمنوا ببعض، وكفروا ببعض**»[5].

وروي عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «لمّا نزلت: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾[6]، **سأل رسولُ الله ﷺ جبرئيلَ عن النحيرة التي أمره الله بها؟ فقال: «إنّها ليست بنحيرة، ولكن يأمرك إذا تحرّمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبّرت، وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الركوع، فإنّها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السماوات السبع**»[7].

ثانياً: عصر الصحابة

اعتمد الصحابة في تفسير القرآن الكريم على ما سمعوه من رسول الله ﷺ في الغالب، ولكنّ ذلك لم يمنع من تصدّي بعضهم

(1) الطبرسيّ، الشيخ الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: لجنة من العلماء والمحقّقين، مؤسّسة الأعلميّ، بيروت، 1415هـ.ق/ 1995م، ط1، ج5، ص74-76.
(2) سورة آل عمران، الآية 97.
(3) السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، لا.م، 1394هـ.ق/ 1974م، لا.ط، ج4، ص218.
(4) سورة الحجر، الآية 91.
(5) السيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج4، ص218.
(6) سورة الكوثر، الآية 2.
(7) الحاكم النيسابوريّ، المستدرك على الصحيحين، مصدر سابق، ج2، ص532.

للتفسير وَفق قواعد اللّغة وما عرفوه من الأساليب البيانيّة، وقد برز من الصحابة الكرام كمفسّرين للقرآن الكريم أربعة فقط، هم:

1.الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

الذي أقرّ له الجميع بالعلم، وهو باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان عليه السلام يقول -فيما روي عنه-: «**سلوني عن كتاب الله -تعالى-، فوالله ما من آية إلّا وأنا أعلم أَنَزَلَت بليل أم نهار**»[1].

وفي رواية أخرى: «**لو كُسرت لي الوسادة ثمّ جلست، لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم. والله ما من آية أنزلت في برّ أو بحر، ولا سهل ولا جبل، ولا سماء ولا أرض، ولا ليل ولا نهار، إلّا وأنا أعلم فيمن نزلت، وفي أيّ شيء نزلت**»[2].

وفي رواية ثالثة: «**يا أيّها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله، ما بين لوحي المصحف آية تخفى عليّ فيما أنزلت، ولا أين نزلت، ولا ما عنى بها**»[3].

وفي المصدر الأخير مجموعة روايات بهذا المعنى.

ويكفينا في هذا المجال ما رواه الصدوق رحمه الله في كتاب التوحيد

(1) ابن البطريق، يحيى بن الحسن، عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، تحقيق: مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم، 1407هـ.ق، لا.ط، ص264.
(2) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، دار صادر، بيروت، لا.ت، لا.ط، ج1، ص199.
(3) ابن عساكر، عليّ بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمرويّ، دار الفكر، لا.م، 1415هـ.ق/ 1995م، لا.ط، ج3، ص25.

بإسناده عن الإمام عليّ عليه السلام ممّا أجاب به أحد المشكّكين في كتاب الله -تعالى-، الذي زعم أنّه وجد عدداً كبيراً من آياته متناقضة يكذّب بعضها بعضاً، وأورد من ذلك عدداً لا يستهان به، فأجابه عليه السلام عن ذلك كلّه بالتفصيل، وبيّن مراد التنزيل بما يرفع الشكّ، ويظهر الحقّ جليّاً لا ريب فيه[1].

وقد أقرّ الصحابة والتابعون، ومن جاء بعدهم بأنّ الإمام عليّاً عليه السلام كان النبع الذي لا ينضب معينه، وأنّ غيره من الصحابة عنه أخذوا، وإليه رجعوا، ومن معينه انتهلوا.

2.عبد الله بن عبّاس رحمه الله:

تلميذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولد (رضوان الله عليه) ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، وتربّى في أجواء بيت النبوّة، ولازم الإمام عليّاً عليه السلام، فتربّى على يديه، وكان من المتفانين في الولاء لعليّ عليه السلام. وقد صحّ عنه قوله: «ما أخذت من تفسير القرآن، فعن عليّ بن أبي طالب»[2].

وقد ظهر اهتمام ابن عبّاس بالقرآن وتفسيره، فأخذ أصوله وأسسه من الإمام عليّ عليه السلام، وطرق أبواب بقيّة الصحابة ليسمع ما رووه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير الآي، فجمع ما كان فاته استماعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لصغر سنّه.

(1) الشيخ الصدوق، التوحيد، مصدر سابق، ص254-269.
(2) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، لبنان - بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1405هـ - 1985م، ط2، ج1، ص35.

وممّا يُظهر مدى فضل ابن عبّاس، ما روي أنّه قيل لطاوس: «لزمتَ هذا الغلام -يعني ابن عبّاس، لكونه أصغر الصحابة يومذاك-، وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!

قال: إنّي رأيت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله إذا تدارأوا في أمر صاروا إلى قول ابن عبّاس!»[1].

إلّا أنّ ابن عبّاس (رضوان الله عليه) قد ابتلي ببعض الرواة الذين لم يتورّعوا عن الوضع على لسانه؛ لأنّه اشتهر صيته، ونال منزلة خاصّة عند المسلمين في العلم والتفسير؛ ممّا دفع أصحاب النفوس المريضة والأغراض الخبيثة إلى استغلال اسمه لوضع الحديث والترويج له، وهذا ما دفع نقّاد الأثر ورواة الحديث إلى التوقّف قبل أخذ الحديث المرويّ عن ابن عبّاس.

وكان من أبرز من وضع الحديث على لسان ابن عبّاس هو مولاه عكرمة المعروف بأنّه من تلامذته، ولقد كان من النواصب المعادين لأهل البيت عليهم السلام، وضع الكثير على لسان مولاه وأستاذه لخدمة أغراضه، وخاصّة فيما يرتبط بمعارضة أو تحريف ما جاء في فضل الإمام عليّ عليه السلام وأهل بيت النبوّة عليهم السلام.

(1) ابن الأثير، عليّ بن أبي الكرم، أسد الغابة، دار الكتاب العربيّ، لبنان - بيروت، لا.ت، لا.ط، ج3، ص194.

وقد حدّد ابن عبّاس معالم منهجه في التفسير بقوله: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلّا الله»[1].

وقد فسّرتْه روايةٌ أخرى عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تفسّره العرب، وتفسير تفسّره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلّا الله...**»[2].

إلّا أنّ القسم الرابع؛ أي المتشابه، فلا يعلمه إلّا الله والراسخون في العلم، كما هو واضح في نصّ القرآن الكريم وفي النصوص الواردة من طرقنا.

وقد جُمع ما ورد عن ابن عبّاس رَحِمَهُ اللهُ في كتاب منسوب إليه، وأطلق عليه اسم (تفسير ابن عبّاس). وقد اعتمد ابن عبّاس في منهجه على فهمه لمعاني القرآن الكريم تارةً، وعلى المأثور عن رسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ تارةً أخرى، واهتمّ بمعرفة مناسبات نزول الآيات؛ لما لذلك من دور في فهم المراد.

3.عبد الله بن مسعود:

كان من الصحابة السابقين الأوّلين، شهد بدراً وهاجر الهجرتين،

(1) الطبريّ، محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تقديم: خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطّار، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/ 1995م، لا.ط، ج1، ص57.

(2) الطبريّ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج1، ص57.

اعتنق الإسلام قبل دخول الرسول ﷺ مع أصحابه الأُوَل دار الأرقم. قيل إنّه توفي سنة 32 للهجرة[1].

لقد كان ابن مسعود موضع عناية رسول الله ﷺ لحفظه القرآن بدقّة ولحسن تلاوته، وقد روي أنّ رسول الله ﷺ كان يحبّ سماعها منه، فعنه ﷺ: «**من أحبّ أن يسمع القرآن غضّاً فليسمعه من ابن أمّ عبد**»[2]، يعني ابن مسعود.

وروي عن ابن مسعود أنّه قال: «كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهنّ حتّى يعرف معانيهنّ والعمل بهنّ»[3].

والمعروف أنّ ابن مسعود امتنع من دفع مصحفه لعثمان عندما بعث في طلبه لإتلافه مع ما أُتلف من المصاحف عندما قام عثمان بجمع الناس على مصحفِ إمامٍ واحد، وكان احتجّ ابن مسعود بأنّه دوّن فيه ما سمعه من رسول الله ﷺ، فلماذا يرجع إلى غيره.

يعدّ ابن مسعود على مستوى التفسير واضع أسس المدرسة الكوفيّة في تفسير القرآن؛ لأنّ مفسّري الكوفة في عصر التابعين كانوا يستندون إلى قوله وتفسيره.

(1) الذهبيّ، محمّد بن أحمد، تذكرة الحفّاظ، لبنان - بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، لا.ت، لا.ط، ج1، ص13.
(2) الصفديّ، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيّات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركيّ مصطفى، دار إحياء التراث، لا.م، 1420هـ - 2000م، لا.ط، ج17، ص325.
(3) الذهبيّ، محمد بن أحمد، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، لا.ت، لا.ط، ج1، ص85.

4.أُبيّ بن كعب:

كان من كتّاب الوحي الأوائل، ومن أصحاب رسول الله ﷺ الذين لازموه واهتمّوا بحفظ القرآن وتعليمه، واستمعوا من رسول الله ﷺ تفسيره، حتّى صار من كبار مفسّري الصحابة.

وقد ذكروا أنّ لأُبيّ بن كعب تفسيراً رواه عنه أبو جعفر الرازيّ، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عنه (رضوان الله عليه)، وقد أورد ابن جرير الطبريّ في تفسيره، والحاكم النيسابوريّ في المستدرك، وأحمد بن حنبل في المسند فصولاً كبيرة من هذا التفسير[1].

كان مفسّرو عصر التابعين في المدينة المنوّرة يتبعون نهج أُبيّ بن كعب في تفسير القرآن، حيث اشتهر بين الصحابة في هذا المجال، وانتشرت الروايات المنقولة عنه في التفسير، ممّا يدفع إلى الاعتقاد بأنّه مؤسّس مدرسة التفسير في المدينة.

ومن الجدير بالذكر أنّ أُبيّ بن كعب كان من الموالين لأهل البيت عليهم السلام، ومن الرجال الاثني عشر الذين امتنعوا من بيعة الخليفة الأوّل، واعتصموا في بيت الإمام عليّ عليه السلام يوم الواقعة المعروفة في التاريخ عند اقتحام الدار وإحراق الباب.

(1) يراجع الكتب المذكورة.

مميّزات تفسير الصحابة

لقد فسر الصحابة القرآن استناداً إلى ما ورد عن رسول الله ﷺ غالباً، فأخذ تفسيرهم الطابع الحديثيّ والروائيّ. ويمكن القول: إنّ تفسير الصحابة -في الغالب- جاء روايةً ونقلاً عن الرسول ﷺ أكثر منه تفسيراً، وقد بقي التفسير طوال هذه المرحلة، التي لم تتجاوز القرن الأوّل الهجريّ، جزءاً من علم الحديث الذي دوّنوه لأبواب تفسير القرآن الكريم، وهو واضح من النظرة الأولى إلى المجاميع الحديثيّة الأولى.

ولم يصبح التفسير علماً مستقلًّا عن الحديث إلّا بعد أن بدأ تدوين العلوم الإسلاميّة، وذلك في زمن متأخّر عن عصر الصحابة.

ومهما يكن، يمكن لنا إيجاز مميّزات تفسير عصر الصحابة بالأمور الآتية:

1. الاعتماد بالدرجة الأولى على المنهج النقليّ والمأثور من الروايات التفسيريّة عن رسول الله ﷺ.
2. قلّة الاختلاف بين الصحابة المفسّرين في تفسير الآيات، وذلك قبل ظهور النزاعات العقائديّة والمذهبيّة التي امتدّت إلى تفسير الآيات بما يتناسب مع الآراء والمذاهب.
3. لم يكن تفسير الصحابة يتجاوز الشرح العامّ والتقرير المجمل لمعنى الآية؛ الأمر الذي لم يؤثر في إكساب التفسير معالم خاصّة، كما حصل فيما بعد، وذلك عندما ظهر المنهج العلميّ أو العقليّ أو العرفانيّ أو غيرها. نعم، كان بعض الصحابة

يستشهد بالشعر أو بالكلام العربيّ الجاهليّ في تقرير معاني المفردات.

4. من الملاحظ أنّ الصحابة لم يلجأوا إلى استنباط الأحكام الفقهيّة من القرآن بالشكل الذي يمكن أن يوظّف ليخدم مذهباً معنيّاً، فهذه المرحلة التفسيريّة لم تكن قد بدأت بعد.
5. بدأت في هذا العصر، مراحل تدوين التفسير على أيدي تلامذة الصحابة المفسّرين، حسب الظاهر. وما نسب إليهم من تفاسير لم يعلم أنّهم هم قاموا بتدوينها، بل الراجح أنّه ممّا جمع من رواياتهم وأقوالهم بعد ذلك.

ومن الجدير بالذكر، أنّ بعض ما روي عن الصحابة من نصوص في التفسير، استُخدمت في تدعيم المذاهب الخلافيّة، وهذا ما يحتاج إلى المزيد من التدقيق والتحقيق؛ لتفشّي ظاهرة الوضع والاختلاف. وبعض ما ورد عن أُبيّ بن كعب أو ابن عبّاس يخالف تماماً ما عرف عنهما من التزامهما ومن مواقفهما خاصّة فيما يرتبط بالإمامة والخلافة.

ثالثاً: عصر التابعين

برز عدد من التابعين كمفسّرين للقرآن الكريم، وقد اعتمدوا في ذلك على صحبتهم وسماعهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأضافوا تدريجيّاً مطالب أخرى استندوا فيها إلى رأيهم واجتهادهم في فهم النصوص القرآنيّة. وتمثّل هذه المحاولات التفسيريّة حصيلة خصوصيّات مفسّري هذه المرحلة، حيث ظهرت الطبقات

والمدارس التفسيريّة التي تميّزت بمشايخها وأساتذة التفسير فيها، وانتسبت إلى البلاد والمدن التي ترعرعت وراجت فيها، كمفسّري مكّة، ومفسّري المدينة، ومفسّري الكوفة والبصرة.

ونحن سنتناول هذه المرحلة حسب تقسيمات المدارس آنذاك:

أ.مدرسة مكّة في عصر التابعين:

شكّل أصحاب ابن عبّاس وتلامذته أغلب مفسّري مكّة المعروفين في هذه المرحلة. وقد تميّزت مدرستهم بالاعتماد على آراء أستاذهم بالدرجة الأولى، وقد اشتهر منهم: سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر المكّيّ، وعكرمة مولى ابن عبّاس، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس بن كيسان اليمانيّ، وغيرهم ممّن هم دونهم شهرة.

1. سعيد بن جبير (ت 95هـ):

من أبرز تلامذة ابن عبّاس وأعلمهم وأجلّهم، وقد عُدّ من مفسّري الشيعة، وقد قتله الحجّاج نتيجة تشيّعه ووفائه لمبدئه بعد مناظرات مشهودة معه، وقد أجمع محقّقو الفريقين من أصحاب الجرح والتعديل على مدحه وتوثيقه.

تميّز ابن جبير في منهجه التفسيريّ بتحرّزه واجتنابه التفسير بالرأي، وقد غضب حين طلب منه شخص أن يفسّر القرآن برأيه، وقال له: «لئن يسقط شقّي أحبّ إليّ من ذلك»[1].

(1) ابن خلكان، أحمد بن محمّد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثقافة، لبنان، لا.ت، لا.ط، ص265.

2. **مجاهد بن جبر المكّيّ، المكنّى أبا الحجّاج (ت 104هـ):**

اعتمد في تفسيره على ما رواه عن ابن عبّاس، وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وقد عدّه سلمة بن كهيل من مفسّري الشيعة، ومع ذلك اعتمد جمع من محقّقي أهل السنّة على تفسيره، كالشافعيّ والنجاريّ، وذكر آخرون أنّ تفسيره أصحّ الوجوه في شرح الآيات وبيانها.

قال مجاهد: «عرضت القرآن على ابن عبّاس ثلاثين مرّة. وكان ابن أبي مُلكيّة يقول: رأيت مجاهداً يسأل ابن عبّاس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب، حتّى سأله عن التفسير كلّه»[1].

وقد تميّز تفسير مجاهد بأنّه اعتمد على التشبيه والتمثيل فيما يتعلّق ببعض آيات القرآن، ولم يكن ينسجم مع معاني الألفاظ الظاهريّة وتعبيرات القرآن أحياناً، حتّى عُدّ منحى مجاهد هذا في تفسير بعض الآيات هو الأساس والمنشأ لأسلوب التفسير المعتزليّ، كما كان ذريعة لتشبّث المتصوّفة بمنهجهم في التفسير.

نقل الطبريّ عن مجاهد في تفسير قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[2]، أنّه قال: «مُسخت قلوبهم ولم تُمسخ صورهم، وإنّما هو مثل ضربه الله لهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً»، لكنّ ابن جرير الطبريّ لم يرتضِ هذا التفسير[3].

(1) مجاهد، تفسير مجاهد، مصدر سابق، ج1، ص74.
(2) سورة البقرة، الآية 65.
(3) الطبريّ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج1، ص472.

ولأجل هذا أعرض جمع من مفسّري الأشعريّة صفحاً عن الأخذ بتفسير مجاهد، واتّهموه بأنّه يرجع إلى أهل الكتاب في تفسير القرآن.

والحقّ، إنّه من المستبعد أن يرجع مجاهد إلى أهل الكتاب، وكان غالباً يعتمد على الحديث والأثر، إلّا أنّه قرنه باستنباطه الشخصيّ، ودعته إلى ذلك جرأته الزائدة في التفسير.

3. عكرمة مولى ابن عبّاس (105هـ):

كان من بربر المغرب، وتلمّذ على ابن عبّاس، فجاء تفسيره مرويّاً عنه، وقد روي عنه أنّه قال: «كلّ شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عبّاس»[1].

يبدو أنّ عكرمة كان يمتلك ذوقاً في التفسير أقرّ له به أستاذه ابن عبّاس، لكنّ عكرمة لم يكن من مفسّري الشيعة، بل عُدّ من الخوارج، ولقد جاهر ببغضه لأئمّة أهل البيت عليهم السلام؛ ولذا كان يضع الحديث وينسبه إلى أستاذه ابن عبّاس تأييداً لمذهبه، وتدعيماً لموقفه، بل روي أنّ عليّ بن عبد الله بن عبّاس كان قد عاقبه على كذبه على أبيه[2].

4. عطاء بن أبي رباح المكّيّ (ت 115هـ):

عطاء من مفسّري مكّة، قيل إنّه أدرك سبعين صحابيّاً، وتلمّذ على ابن عبّاس، وأخذ عنه التفسير، وقد أدرك عصر الإمام

(1) السيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج2، ص499.
(2) التستريّ، محمّد تقي، قاموس الرجال، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم، 1419هـ.ق، ط1، ج7، ص236.

الباقر عليه السلام، لكنّه لم يكن يُعدّ من رجال الشيعة، بل هو عامّيّ، أخذ عنه أبو حنيفة، وكان موضع احترام بني أميّة، حيث أمروا ألّا يفتي الناس أحد غير عطاء.

5. **عبد الله بن طاوس بن كيسان اليمانيّ (ت 104 أو 108هـ):**

من مفسّري التابعين المكّيّين، ينقل في تفسيره روايات عن العبادلة الأربعة: عبد الله بن عبّاس، وابن مسعود، وابن عمر، وقيل ابن الزبير. ويدّعي طاوس أنّه جالس خمسين من الصحابة، لكنّه أخذ عن ابن عبّاس معظم معارفه[1].

يعتقد بعض العلماء أنّ طاوس إيرانيّ الأصل[2]، وعدّه الشيخ الطوسيّ من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام، كما أنّ ابن قتيبة صرّح بتشيّعه، إلّا أنّ جمعاً من محقّقي الشيعة عدّوه من المتصوّفة ومن مفسّري أهل السنّة، ولم يؤيّد المحدّث النوريّ تشيّعه[3].

وقد ذكر آغابزرگ الطهرانيّ في ترجمته أنّه قد دوّن كتاباً في التفسير، اعتمد في ذلك على قول ابن الجزريّ[4].

---

(1) راجع ترجمته مفصّلة: الذهبيّ، محمّد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، إشراف وتخريج: شعيب الأرنأوط، تحقيق حسين الأسد، مؤسّسة الرسالة، لبنان - بيروت، 1413هـ - 1993م، ط9، ج5، ص38.

(2) ابن خلكان، وفيّات الأعيان، مصدر سابق، ج2، ص509.

(3) الطبرسيّ، الميرزا حسين النوريّ، خاتمة المستدرك، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، إيران - قم، 1415هـ.ق، ط1، ج1، ص151.

(4) آقا بزرگ الطهرانيّ، الشيخ آقا بزرگ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، لبنان - بيروت، 1403هـ - 1983م، ط3، ج4، ص279.

ب.مدرسة المدينة في عصر التابعين:

كانت المدينة عاصمة الدول الإسلاميّة في الصدر الأوّل، ومن الطبيعيّ أن تجد عدداً غير قليل من علماء المسلمين يعيشون في أحضانها، خاصّة أنّ الصحابة في الغالب كانوا يقيمون فيها.

وتدين مدرسة المدينة في التفسير لأُبيّ بن كعب، حيث نُقل عنه أكثر من غيره من الصحابة. وقد جرى مفسّرو عصر التابعين في المدينة على نهجه وطريقته في التفسير.

ومن أشهر مفسّري التابعين في المدينة: أبو العالية رفيع بن مهران، وأبو أسامة زيد بن أسلم، ومحمّد بن كعب القرظيّ.

ج.مفسّرو الكوفة من التابعين:

تابع مفسّرو العراق ابن مسعود في التفسير؛ إذ إنّه اشتهر هناك أكثر من غيره. وحين نصّب الخليفة الثاني عمّار بن ياسر والياً على الكوفة أخذ معه عبد الله بن مسعود معلّماً للقرآن. وقد شاع عن ابن مسعود أنّه وضع أساس طريقة الرأي والنظر كمنهج استدلاليّ، وتوارث عنه علماء العراق منهجه. ومن الطبيعيّ أن تؤثّر هذه الطريقة في التفسير، ليكثر تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد.

ومن أشهر مفسّري الكوفة من التابعين:

1. **مرّة الهمدانيّ الكوفيّ (ت76هـ):**

له مقام شامخ عند أهل السنّة. وعلى الرغم من اشتهار الكوفة

آنذاك بالولاية لعليّ عليه السلام والتشيّع له، إلّا أنّ مرّةً كان يكنّ العداوة والبغضاء لعليّ عليه السلام.

2. **علقة بن قيس بن عبد الله النخعيّ الكوفيّ (ت61هـ):**

هو من أشهر الرواة عن ابن مسعود، وقد وثّقه أهل الحديث من السنّة والشيعة على حدّ سواء.

3. **مسروق بن أجدع الكوفيّ (ت 63هـ).**
4. **عامر الشعبيّ الكوفيّ (ت 104هـ أو 109هـ).**
5. **الأسود بن يزيد النخعيّ (ت 75هـ).**
6. **جابر بن يزيد الجعفيّ (ت127-132هـ).**

كان من أصحاب الإمامين عليّ بن الحسين والباقر عليهما السلام، وقد دوّن كثيراً من الكتب في التفسير والأحكام وآثار أهل البيت عليهم السلام.

يقول عنه سفيان الثوريّ: جابر صدوق في الحديث، إلّا أنّه شيعيّ رافضيّ، وكانت شخصيّته في كتب رجال الحديث الشيعة والسنّة محلّ اطمئنان وقَبول.

7. **إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفيّ (السدّيّ) (ت 127هـ):**

عدّه الذهبيّ في ميزان الاعتدال شيعيّاً صدوقاً مقبولاً[1]، وصرّح بعض علماء الشيعة والسنّة بذلك[2].

---

(1) راجع: الذهبيّ، محمّد بن أحمد، ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمّد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، 1382 - 1963م، ط1، ج1، ص263.

(2) راجع: النمازيّ، الشيخ عليّ الشاهروديّ، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن عليّ النمازيّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرفة، إيران - قم، 1418هـ، لا.ط، ج5، ص6؛ الحسنيّ، السيّد هاشم معروف، تاريخ الفقه الجعفريّ، قدّم له محمّد جواد مغنيّة، دار النشر للجامعيّين، لا.ت، لا.ط، ص220.

وقد كتب ابن عطيّة يقول: وأمّا السدّيّ، فكان عامر الشعبيّ يطعن عليه وعلى أبي صالح؛ لأنّه كان يعتقد أنّهما كانا يتسامحان في النظر في الحديث[1].

د.مفسّرو البصرة في عصر التابعين:

1. أبو سعيد الحسن البصريّ (ت 110هـ):

ذكر المحدّث القمّيّ أنّ الحسن البصريّ أحد الزهّاد الثمانية، وكان يحدّث الناس بما يلائم رغبتهم، ويتظاهر بالزهد والتقوى طلباً للرئاسة والجاه، وهو إمام القدريّة ورئيس مذهبهم، وقد عدّه السيّد المرتضى أيضاً من المتقدّمين الذين كانوا يتظاهرون بالعدالة والتقوى والزهد[2].

وقد ذكر ابن النديم في الفهرست تفسيراً منسوباً إلى الحسن البصريّ[3]. وكان الحسن أوّل من روّج للحجّة والاستدلال الكلاميّ، وقد انتقد معاوية في مسائل عدّة، منها: قتله حجر بن عديّ، وتعيينه يزيدَ خليفة من بعده[4].

تميّز الحسن البصريّ في التفسير بأنّه كان يوجّه الآيات التي تتحدّث عن الدنيا وزينتها والتمتّع بها إلى جوانب الزهد والإعراض

(1) القرطبي، مصدر سابق، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج1، ص36.
(2) النمازي، مستدرك سفينة البحار، مصدر سابق، ج4، ص318.
(3) ابن النديم البغدادي، محمد بن أبي يعقوب، فهرست ابن النديم، تحقيق: رضا - تجدد، لا.ن، لا.م، لا.ت، لا.ط، ص36، ص202.
(4) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان - بيروت، 1403هـ - 1983م، ط4، ج4، ص208.

عن الدنيا؛ إذ كان يرى أنّ الآيات القرآنيّة لها القدرة على تحمّل الوجوه والتأويلات المختلفة[1].

2. **قَتادة بن دعامة السدوسيّ (ت 117هـ):**

كان ينقل أحاديث التفسير عن أنس بن مالك، وأبي الطفيل، وابن سيرين، وعطاء بن أبي رباح، وكان يمتلك حافظة قويّة، واطّلاعاً واسعاً على الشعر العربيّ وأيّام العرب وأنسابها، وتبحّراً في اللّغة العربيّة ومفرداتها.

ويبدو أنّه كان من محبّي الإمام عليّ عليه السلام، فقد روي أنّه سمع من خالد بن عبد الله القسريّ كلاماً في ذمّ الإمام عليّ عليه السلام، فخرج من مجلسه، وهو يقول: «زنديق وربّ الكعبة، زنديق وربّ الكعبة»[2].

ولكن هذا لا يعني أنّه كان موالياً لأهل البيت عليهم السلام، بل أوردوا عليه أنّه كان يقول بالقدر، ومع ذلك فقد كان قتادة مرجعاً للباحثين في عصره.

3. **أبو صالح باذان (أبو باذام) البصريّ (ت بعد القرن الأوّل الهجريّ):**

كان تلميذاً لابن عبّاس، قيل إنّه من ثقات الشيعة، وكان أعجميّ الأصل، واسمه يدلّ على ذلك صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا صحّ أنّه كان يقول لعكرمة:

(1) راجع ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج4، ص563؛ المزي، يوسف، تهذيب الكمال، تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، 1406 - 1985م، ط4، ج6، ص95.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج8، ص113.

«مولاي (أي أمير المؤمنين عليه السلام) أعلم من مولاه (أي ابن عبّاس)»، فهذا يدلّ على أنّه كان من موالي الإمام عليّ عليه السلام.

وقد اتّهمه الشعبيّ بعدم الدقّة في نقل الحديث، وأنكر عليه تفسير القرآن، قائلاً: «تفسّر القرآن وأنت لا تقرأ القرآن»[1]، ولكنّ ذلك ناشئ من أعجميّته وتشيّعه حسب الظاهر، لكنّ أبا صالح يقع في طريق رواية السديّ الكبير (المتقدّم)، وفي جميع طرق رواية التفاسير الموجودة في كتاب (تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس)؛ ممّا يكشف عن أهمّيّته ومكانته.

4. **سليمان بن مهران الأعمش (ت 148هـ).**

5. **مقاتل بن سليمان الأزديّ (ت 150هـ):**

من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، روى عنه ابن بابويه القمّيّ في (من لا يحضره الفقيه) والكلينيّ في (الكافي)، وعدّه ابن النديم زيديّاً، ونسب إليه كتباً كثيرة، وقال عنه الشافعي: «الناس عيال عليه في التفسير»[2].

6. **الضحّاك بن مزاحم الهلاليّ (ت 102 أو 105هـ).**

7. **عطيّة بن سعيد العوفيّ الجدليّ الكوفيّ (ت111هـ):**

له تفسير يقال إنّه من خمسة أجزاء. وكان يقول: «عرضت القرآن على ابن عبّاس ثلاث مرّات على وجه التفسير، وأمّا على وجه

(1) الطبريّ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج1، ص62.
(2) الذهبيّ، التفسير والمفسّرون، مصدر سابق، ج1، ص61.

القراءة، فقرأت سبعين مرّة[1]. وحكي أنّ الحجّاج ضرب العوفيّ مئة جلدة ليشتم عليّاً، لكنّه امتنع ولم يفعل[2].

هذه نماذج من الأسماء التي لمعت في التفسير في التابعين، وهم أكثر من ذلك بكثير.

ملامح عصر التابعين في التفسير

يمكن تلخيص ملامح هذا العصر بالآتي:

1.تسرب الإسرائيليّات والنصرانيّات إلى تفسير القرآن:

فقد بدأ مفسّرو هذه المرحلة بإدراج روايات أهل الكتاب في التفسير، وقد جاء هذا الأمر بعد أن أتيح المجال لأهل الكتاب بنشر علومهم، وأعيد لهم الاعتبار، منذ أن أَذِن الخليفة الثاني بذلك قائلاً: «حدّثوا عن أهل الكتاب ولا حرج»[3]. ولم يقف الأمر عند قصص الأنبياء والأمم الغابرة، بل تعدّى ذلك إلى تفسير الآيات المتضمّنة للأحكام والمسائل العقائديّة والفكريّة.

ومن أمثلة ذلك الواضحة، روايات كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، وعبد الملك بن عبد العزيز وآخرين، وكلّهم من يهود اليمن الذين أسلموا أو أظهروا الإسلام، واستطاعوا

(1) الشيخ آقا بزرگ الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مصدر سابق، ج4، ص283.
(2) ابن سعد، محمّد، الطبقات الكبرى، لبنان-بيروت، دار صادر، لا.ت، لا.ط، ج6، ص304.
(3) ابن حنبل، مسند أحمد، مصدر سابق، ج2، ص159.

نشر الكثير من المعارف والروايات التاريخيّة المصطبغة بثقافة اليهود وعقائدهم، ولمّا اشتهرت وانتشرت أدرجت في تفاسير المسلمين بوعي أو دون وعي.

2.الاتّساع النسبيّ لأسلوب التفسير بالرأي:

على الرغم من أنّ التفسير في عصر التابعين لم يخرج عن حدود التفسير بالمأثور، وحافظ على ملامح منهجيّة ابن عبّاس في مكّة، وأُبيّ بن كعب في المدينة، وابن مسعود في العراق، إلّا أنّ التفسير بالرأي بدأ بالاتّساع والانتشار، خاصّة بين مفسّري أهل الكوفة الذين لم يكونوا يتجنّبون التفسير بالرأي.

3.التمهيد لظهور التفاسير المذهبيّة:

لقد تعمّقت الخلافات المذهبيّة في عصر التابعين، وبدأوا باتّخاذ مواقف حاسمة من الرواة والروايات التي لا تنسجم مع مذاهبهم، وقد انعكس ذلك على تفسيرهم للقرآن بشكل كبير، وخاصّة فيما يرتبط بتدعيم مذاهبهم الكلاميّة وآرائهم السياسيّة والفقهيّة.

وإذا حلّت العصبيّة في تقويم الأقوال والآراء، بل في تقويم الرجال، بدلاً من الإنصاف والعدل، فإنّ الميل عن الصراط والابتعاد عن الحقّ يصبحان حتميّين.

4.البدء بتدوين التفسير:

ربّما كان سعيد بن جبير هو أول من دوّن تفسيراً. وسواء أصحّ ذلك أم لم يصحّ، فلا شكّ في أنّ التفاسير الأولى التي ذكرها

المصنّفون ترجع إلى عصر التابعين. ولعلّه لم يُذكر قبل سعيد بن جبير أحد ممّن صنّف في التفسير؛ أمّا كتاب (تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس)، فلعلّه جُمع في عصر متأخّر عن التابعين.

ولا شكّ في أنّ قرار منع تدوين الحديث الذي بقي ساري المفعول إلى نهاية القرن الأوّل وبدايات القرن الثاني كان قراراً سياسيّاً، وقد حال دون التفكير بوضع المدوّنات في شتّى العلوم، وخاصّة التفسير الذي لم يكن يتعدّى التفسير بالمأثور، وبالتالي فقد كان ممنوعاً انطلاقاً من كونه نوعاً من أنواع تدوين الحديث المحظور، واستمرّ الأمر على هذا النحو حتّى انتهى القرن الأوّل، ورفع عمر بن عبد العزيز هذا الحظر. فما جاءنا خبره من المدوّنات فإنّه يرجع إلى القرن الثاني، عدا تفسير سعيد بن جبير الذي توفّي سنة 94. ونحن نستطيع تفهّم إقدام الموالين لعليّ عليه السلام على التدوين قبل غيرهم؛ لأنّهم سمعوا منه الحثّ على التدوين والكتابة، ولم يوافقوا على القرار المذكور، بل عارضوه بشدّة.

الفصل الثاني

منهج التفسير عند الإمام الخمينيّ قدس سره[1]

(1) محاضرة ألقيت في مركز الإمام الخمينيّ قدس سره بمناسبة ذكرى انتصار الثورة في 25 صفر 1417هـ-ق، ثمّ نشرت في جريدة الانتقاد في 7 و14 - 6 - 2002م.

الحاجة إلى دراسة شخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره

ما الذي يدفعنا إلى الاهتمام بدراسة الأبعاد الدقيقة لشخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره؟

وما الذي يجعلنا نبحث وندقق لاكتشاف الجوانب غير البارزة في شخصيّته؟

وما الذي يدفعنا أحياناً إلى التنقيب عن كلّ ما يمتّ إليه بصلة، وعن كلّ قضيّة ترتبط بحياته وكلّ واقعة صغيرة أو كبيرة؟

المسألة تكمن في أمرين:

الأوّل: الارتباط الوثيق الذي قد يتجاوز الحدود الطبيعيّة في الارتباط، ليتحوّل إلى حالة من العشق بالشخصيّة، فيسري إلى كلّ ما ينتسب إليها، وما يتّصل بها بأيّ نحو من أنحاء الاتصال.

والثاني: تحوّل هذه الشخصيّة إلى منهج وخطّ، تتلمّس معالم ذلك المنهج في كلّ حركة وسكون، وفي كلّ فعل وسلوك، وفي كلّ قول أو سكوت. وبعبارة ثانية، تصبح حياته لوحة ترسم صورة المنهج وتحدّد معالمه، فندرس تلك الشخصيّة، لكي نستقي من دراستنا معالم المنهج وانعكاساته وآثاره وأبعاده المختلفة.

وهذا يكشف أيضاً عن سرّ الاهتمام بدراسة السيرة النبويّة الشريفة، وسيرة حياة الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ولعلّ العامل الثاني هو الأبرز والأهمّ الذي تترتّب عليه ثمرة عمليّة.

أمّة في رجل

في بعض الأحيان، نجد ومن خلال دراستنا لرموزنا، أنّ بعضهم يشكّل حالة متميّزة في جانب معيّن، بينما الجوانب الأخرى تبقى في حالة عاديّة جدّاً، فتكون لأحدهم حالة تميّزه من غيره، وتكون لآخر حالة يتميّز بها من أقرانه... وهكذا، فتركّز الدراسة على جوانب الامتياز، ويسلَّط الضوء عليها بشكل خاصّ.

الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى الإمام الراحل قدس سره، الذي تتعدّد وتتشعّب لديه جوانب الامتياز، لتجعل منه أمّة في رجل، وموسوعة في مجلّد واحد. وليس من المبالغة أن يقال إنّه «رجل القرن»، بل هو رجل نادر في تاريخ الأمم.

فليس من الهيّن أبداً أن نجد بعد الأئمّة المعصومين عليهم السلام رجالاً سمَوا في العلم والمعرفة، وشمخوا في عالم السلوك، وسبقوا في ميدان الجهاد والسياسة، فلم يعزلهم السلوك والعرفان عن أمّتهم وقضاياها، ولم تشغلهم الدقّة العلميّة عن خوض غمار الصراع المرير مع الطغاة والمستكبرين، ولم تقف حائلاً دون العمل من أجل إنقاذ أمّتهم ومكافحة أعدائهم وإعادة العزّة والمجد للإسلام والمسلمين؛ ولأجل ذلك كان الإمام الخمينيّ قدس سره رجلاً تاريخيّاً نادراً.

الاستقامة في قاموس حياته أن لا يحيد عن الصراط الذي يوصل إلى الله -تعالى-، وعن الخطّ الذي رسمه لعباده الصالحين، حتّى بات إقبال الدنيا وإدبارها، اجتماع الناس عليه أو تفرّقهم عنه، حياة السجن أو الزعامة، الفقر أو الغنى، الانتصار أو الانكسار؛ عنده سيّان.

ولا شكّ في أنّ ما نلمسه في نهج الإمام قدس سره ليس سوى قبس من قبسات أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة عليهم السلام، وشهاب من وهج شموسهم المشرقة.

قد يجد بعضهم صعوبة في تعقّل بعض أبعاد تلك الشخصيّة الفذّة، ويعجز -على ضوء ذلك- عن تحليل العديد من المواقف والظواهر البارزة في حياته قدس سره، التي هي وليدة الاستقامة والثبات والانسجام التامّ بين الشعار والعمل، بين المبادئ والتطبيق. ولا شكّ في أنّ من يعجز عن تعقّل ذلك وإدراكه، فهو أعجز عن فهم واقع العترة المطهّرة وإدراكه، وأعجز عن تفسير الكثير من الظواهر والمواقف في سيرتهم وحياتهم.

فمن لم يذق طعم العشق الإلهيّ لا يستطيع حتماً أن يتعقّل معنى الفناء في الله، بل وربّما عدّ ذلك جنوناً.

الإمام الخمينيّ قدس سره والقرآن الكريم

لا يُقاس ارتباط الإنسان بالقرآن بكثرة تلاوته، وإن كانت التلاوة أوّل الطريق نحو الارتباط؛ ولا بحسن الصوت، وإن كان تحسين

الصوت به مستحبّاً؛ ولا بمقدار معرفته بالعلوم الشكليّة والظاهريّة للقرآن، وإنّما يُقاس ذلك بمقدار الحرص على العمل به، وتجسيد مفاهيمه، والثبات على نهجه وخطّه.

وبناءً على هذا، يمكن أن يقال إنّ الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ كان المجسّد الأكبر لمعارف القرآن الكريم، والمُحيي لنهجه في هذا القرن. وانعكاس ذلك على فكره وسلوكه أصالةً ودقّةً واستقامةً وثباتاً غنيٌّ عن التعريف.

فليست قراءة القرآن وتدبّر في معانيه واستكشاف معارفه وعلومه وأحكامه، ذلك كلّه ليس إلّا مقدّمةً وطريقاً نحو الاهتداء بهديه والعمل بأحكامه وبلوغ غاياته؛ ولذا كان الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ يرى أنّ الأمّة قد هجرت القرآن الكريم مدّةً مديدة، وأكسبها ذلك الهجران ذلًّا واستعباداً... ومراده من الهجران هو ترك العمل بأبعاده المختلفة؛ السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة وغير ذلك.

وعندما يكون الإنسان قرآنيّاً في ثقافته وسلوكه ونهجه، ينعكس ذلك بشكل واضح- على كلّ ما يصدر عنه، وعلى ما يظهر عليه من صفات، وعلى أسلوب تفكيره، وعلى نمط سياسته وموازين علاقاته وارتباطاته، وعلى طريقة حياته وسلوكه.

والإمام قُدِّسَ سِرُّهُ كان يتحدّث عن القرآن الكريم بأنّه كتاب السلوك إلى الله، وكتاب تهذيب النفوس، وكتاب الآداب والسنن الإلهيّة، وأعظم وسيلة للارتباط بين الخالق والمخلوق، والعروة الوثقى والحبل المتين للتمسك بالعزّ الربوبيّ.

وكان يتحدّث عنه دائماً، مشيراً إلى معارفه وآدابه وأحكامه، ليصار إلى الاستفادة من كنوزه وفيوضاته. ولعلّ أدقّ عباراته المصرّحة بهذه الحقيقة، قوله: «إنّ الغاية التي تنزّل من أجلها القرآن هي صنع الإنسان وجعله إنساناً».

مناهج التفسير

يلاحظ المفسّر -عادةً- القرآن من خلال ذهنيّته الخاصّة ومجال اهتمامه، وعلى أساس الجانب العلميّ والفنّيّ الذي يبرع فيه، فيصبّ اهتمامه على الجهة التي يدركها، والتي تتناسب مع إمكاناته وعلومه الخاصّة، وهذا أمر طبيعيّ.

فاللغويّ يهتمّ بالألفاظ الغريبة، والنَحْويّ ينصبّ اهتمامه على الإعراب والوجوه الإعرابيّة، والأديب جُلُّ اهتمامه البحث عن الكنايات والاستعارات والمجازات الواردة في القرآن الكريم، والفيلسوف يستغرق بالبحث عن الوجوه العقليّة والمسائل الفلسفيّة عندما يجد فرصة لذلك من خلال آيةٍ معيّنة، والأخباريّ لا همّ له إلّا جمع الأخبار المرتبطة بالقرآن، ومن له ولع بالعلوم الدينيّة والفلك، يقف طويلاً عند الآيات التي تتضمّن إشارات علميّة، ليطبّق الآيات على ما عنده أو العكس.

ولأجل ذلك امتازت التفاسير بعضها عن بعض في جوانب اهتماماتها. وقد لا يكون لكثير ما يوردونه ارتباط بالتفسير وبفهم المعنى المقصود في الآية، فالسحر الوارد ذكره في قصّة

موسى عليه السلام وفرعون يدخل في سياق القصّة التي ذكرت مرات عدّة لهدف واضح، وهو بيان حالة الاستكبار والجحود عند فرعون، وأنّ ذلك لم يعجز الله -عزّ وجلّ-، حيث نصر عبده، وأورثه الأرض، وأهلك فرعون وهامان وجنودهما.

لكن من له رغبة خاصّة في البحث عن الأمور العرضيّة، يحبّر العشرات من الصفحات لبيان أنواع السحر وكيفيّة إبطاله وفنونه، مع أنّ هذا لا ارتباط له بالمقصود الأصليّ للكتاب.

وهكذا نجد من المفسّرين من يهتمّ اهتماماً بالغاً بإيراد الأبحاث المطولة عن أنواع الطيور والحشرات وأمثال ذلك، بمناسبة ذكر الهدهد والنملة والنحل وغيرها.

فالتفاسير الموجودة بين أيدينا بعضها -كما قيل- فيها كلّ شيء ما عدا التفسير!

القرآن الكريم كتاب مفتوح، ليستفيد منه جميع أفراد البشر؛ العامّيّ، والعالم، والفيلسوف، والعارف، والفقيه في آن واحد، كلّ فرد يستفيد بحسب قابليّته، وبحسب ما أوتي من إدراك، فثمّة العديد من الآيات في متناول الجميع، وفي الوقت نفسه ثمّة مسائل تختصّ بالعلماء الكبار.

علم التفسير في رؤية الإمام الخمينيّ قدس سره

التفسير في رأي الإمام قدس سره، يجب أن يكون في خدمة الهدف الذي نزل القرآن من أجله، وهو الذي يفتح الطريق نحو الاستفادة

من هذا الكتاب الشريف، ويُشرّع أبواب المعارف والعلوم التي حواها.

ولقد عدّ قدس سره الاهتمام الزائد بالجوانب العرضيّة، يُخرج الإنسان عن الهدف، بل يوجب الاحتجاب عن القرآن، والغفلة عن الذكر الإلهيّ.

والسرّ في ذلك، أنّه قدس سره ينظر إلى واقع القرآن وحقيقته، ويرى أنّ الألفاظ التي صيغ بها ما هي إلّا قوالب للمعنى وأوعية له، وليس من شأن العالم أن يكثر الاهتمام بالوعاء إلّا بالمقدار الذي يوصله إلى ما في الوعاء، الذي هو المقصود الأصليّ.

يقول قدس سره: «القرآن ليس ألفاظاً، ليس من مقولة السمع والبصر، ولا من مقولة الألفاظ والأعراض، ولكن أُنزل إلى الدرجة التي نستطيع نحن الصمّ العمي أن ننتفع به أيضاً. أمّا حال أولئك الذين ينتفعون منه بتلك الصورة العليا فهي حال أخرى، ووضعهم التربويّ وضع آخر، وكيفيّة تلقّيهم من القرآن هي على نحو آخر».

طبعاً، يقصد قدس سره بأولئك الذين ينتفعون من القرآن بتلك الصورة العليا، هم أهل البيت عليهم السلام ومَن هم في المراتب العليا التي تقرّبهم منهم عليهم السلام.

وعليه، فالاهتمام بدراسة القشر والوعاء إلى حدّ يفوت معه المقصود، يحجب الإنسان عن الغاية والغرض. إذاً، الاستغراق في بيان الوجوه الإعرابيّة مثلاً، والنكات البلاغيّة، ونقل الأقوال فيها، وغير ذلك من الوجوه الأدبيّة، أو النظر إلى القصص القرآنيّة بنظرة

تاريخيّة محضة، والاستغراق في تعداد الأقوال في أسباب النزول واختلاف القراءات وأمثال ذلك... يعدّها الإمام قدس سره تضييعاً للجهد في أمور عرضيّة من شأنها أن تفوّت على الإنسان المقصود الأصليّ.

ولا يعني ذلك -أبداً- الإعراض عن هذه الأمور بشكلٍ كلّيّ، وإنّما يؤخذ منها ما له ثمرة ومدخلية في فهم الكتاب، فإنّ الألفاظ وإن كانت قوالب للمعنى ووسائل لإيصاله إلينا، إلّا أنّ بعض ما يرتبط باللفظ من علوم قد يساعد على فتح الباب للوصول إلى المعنى، بشرط أن لا يؤدّي البحث فيها إلى الغفلة عن اللبّ، وعن الذكر الإلهيّ.

يتحدّث الإمام قدس سره عن هؤلاء المفسّرين، فيقول: «إنّ المفسّرين العظماء قد صرفوا همّهم الأكبر في واحدة من هذه الأمور (العرضيّة) أو أكثر، ولم يفتحوا باب التعاليم القرآنيّة للناس».

وعليه، فالميزان الصحيح للتفسير عنده قدس سره، الذي يمكن من خلاله تقويم ما كُتب من تفاسير، هو أن يحقّق التفسير الغرض والغاية والهدف الذي نزل القرآن من أجله، ويساعد عوامّ الناس على الوصول إليه، والاستفادة من كنوزه الخفيّة.

يقول قدس سره في هذا المجال: «وحسب ما أعتقد، فإنّه حتّى الآن لم يُكتب تفسير لكتاب الله...».

ويقول أيضاً: «وبشكل عامّ، فإنّ المقصود من التفسير هو شرح هذا الكتاب، والأمر المهم بيان مراد صاحب الكتاب.. إنّ هذا

الكتاب الشريف هو بشهادة الله -عزّ وجلّ- كتاب هداية وتعليم، ونور درب السلوك الإنسانيّ. فعلى المفسّر أن يُفهم المتعلّم في كلّ قصّة من قصصه، بل في كلّ آية من آياته، جهةَ الاهتداء بعالم الغيب، والإرشاد إلى طريق السعادة وسلوك طريق المعرفة.. فإنّ المفسّر عندما يبيّن لنا مقصد النزول يكون مفسّراً، لا عندما يتحدّث عن سبب النزول (كما هو في التفاسير). ففي قصّة آدم وحواء وقضاياهما مع إبليس منذ أوّل خلقتهما حتّى نزولهما إلى الارض، هذه القصّة التي كرّرها الله -عزّ وجلّ- في كتابه، كم من المعارف والمواعظ مذكورة فيها؟ وكم تدلّنا على معايب النفس، والوساوس الشيطانيّة، والسجايا التي تحملها، ونحن غافلون عنها؟».

ثمّ يقول: «وإجمالاً، فإنّ كتاب الله كتاب معرفة وأخلاق ودعوة إلى السعادة والكمال، وكتاب التفسير يجب أن يكون كتاباً عرفانيّاً أخلاقيّاً، مبيّناً للوجوه العرفانيّة الأخلاقيّة وسائر وجوه الدعوة إلى السعادة.. فالمفسّر الذي يُغفل هذا الوجه، أو يصرف النظر عنه، أو لا يهتمّ به، فإنّه يغفل عن مقصود القرآن والهدف الأصليّ من إنزال الكتب وإرسال الرسل، وهذا خطأ قد حَرم هذه الأمّة قروناً طويلة من الاستفادة من القرآن الكريم، وأغلق باب الهداية في وجه الناس».

يشبّه الإمام قدس سره عمل المفسّر بأنّه كشف للأغطية؛ لأنّ المعارف القرآنيّة التي يريد أن يوصلها إلينا اللفظ مغطّاة محجوبة، يقوم المفسّر بكشف هذه الأغطية كلّ وَفق تخصّصه، بل حتّى في

حدود التخصّص قد لا يوفَّق المفسّر في مقصوده، فيبقى الغطاء.. ويقول قدس سره: «القرآن ليس ذلك الكتاب الذي نستطيع نحن أو غيرنا تصنيف تفسير جامع له، يحوي علومه كلّه كما هي، ففيه علوم فوق ما نفهم نحن. نحن نفهم ظاهراً منه، ونفسّر غطاءً منه، والباقي يحتاج إلى تفسير أهل العصمة، وهم المعلَّمون بتعليم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

منهج التفسير عند الإمام الخمينيّ قدس سره

قد يتصوّر بعضهم أنّ البحث عن نهج تفسيريّ للإمام الراحل فيه مبالغة أو هو بحث في الفراغ، فلم يشتهر عن الإمام قدس سره أنّه كان مفسّراً للقرآن، ولم يُدرج في عداد الذين صنفوا التفاسير. نعم، هذا الجانب وهذا البعد في شخصيّة الإمام قد اختفى وراء وهج البعد الجهاديّ والبعد الفقهيّ والبعد العرفانيّ له، لكنّنا يمكن أن نقول إنّ هذا البعد الخفيّ هو الأبرز والأهمّ في شخصيّة الإمام، وقد قدمنا القول إنّ الإمام قدس سره هو مُحيي نهج القرآن في هذا العصر والمجسّد له، وذلك يكشف عن تعامل قديم وارتباط وثيق بهذا الكتاب، وفهم عميق ودقيق لمنهج القرآن الكريم ومقاصده، أتاح له القدرة على تجسيده وإحيائه وتحويله إلى واقع خارجيّ في مختلف الأبعاد، وفي شتّى مجالات الحياة.

واستخلاص المنهج التفسيريّ من التراث المكتوب والمسموع للإمام الراحل قدس سره أمر ممكن وفي متناول اليد، على قلّة ذلك التراث الذي لم يتجاوز المقدار القليل القليل، لكنّه مع ذلك

تراث ثريّ وزاخر، يقرأ الباحث فيه -بوضوح- طريقة خاصّة، بيّنة المعالم، واضحة الحدود.

فما بين أيدينا من تراث تفسيريّ للإمام الراحل قدس سره يتمثّل بالآتي:

1 - محاضرات خمس في تفسير آية البسملة، كانت خطوة لتفسير سورة الحمد، لكنّها لم تكتمل، وحُرمنا من نعمتها لأسباب عدّة، فتوقّفت عند هذا الحدّ.

2 - بيان إجماليّ لتفسير سورة الحمد أورده قدس سره في سياق الحديث عن الآداب المعنويّة للصلاة.

3 - نبذة من تفسير سورة التوحيد فيه أيضاً.

4 - نبذة من تفسير سورة القدر فيه أيضاً.

5 - تفسير سورة التوحيد والآيات الست الأولى من سورة الحديد في الحديث الأربعين من كتابه «الأربعون حديثاً».

6 - إشارة مختصرة لتفسير سورتَي الحمد والتوحيد في كتاب سرّ الصلاة أو صلاة العارفين.

7 - تفسير آيات من سورة الحشر ضمن رسالة تربويّة لنجله المرحوم السيّد أحمد.

8 - ما ورد على نحو الاستشهاد بالآيات والتلميح إلى معانيها ضمن أبحاثه الفقهيّة والأصوليّة.

وما أطلقنا عليه اسم النبذة هنا فتبعاً لتعبيره قدس سره، لكنه اذا قيس بما هو في كتب التفسير الاخرى أو بما حواه من علوم وإشارات معرفية، فهو بحر فياض، فالأمر نسبي؛ إذ إنّه بالنسبة

إلينا بحر، وبالنسبة إلى الكاتب وما عنده نبذة يسيرة، وهذا يكشف عن واسع علمٍ وعظيم رؤية انطوى عليها قلبه الكبير، ظهرت منه تلك الاشارات والنبذات ورشح منه هذا الوشل، لكنّه عذب لذيذ لو أمكن لنا أن نرتشف منه.

ألم يقل جدُّه أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد: «... **هَا إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْماً جَمّاً - وأَشَارَبِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ - لَوْ أَصَبْتُ لَه حَمَلَةً...**»[1].

إنّ العالم العارف يتألّم عندما لا يجد أذناً تتحمّل وقلباً يعي، ليخرج ما في قلبه من كوامن معرفة، ومشاهدات خاصّة، لا يتمكّن من التعبير عنها بما يتناسب مع مدركات الناس، فهو أشبه بمن يريد تفهيم النور لمن لا يبصر، ولم يشاهده قطّ.

ولعلّ هذه النقطة بالذات هي السبب، أو على الأقلّ أحد الأسباب التي وقفت حائلاً دون تدوين الإمام قدس سره تفسيراً كاملاً للقرآن. وما يُنقل عن أحد تلامذته من أنّه قدس سره كان يعتذر عن ذلك بأنّ الأمر يحتاج إلى تفرُّغ كامل، وهذا ما لم تسمح له به ظروفه ومسؤوليّاته واهتماماته، فلنا عنده وقفة خاصّة؛ إذ إنّ التفسير الذي يعنيه الإمام، والذي يتناسب مع منهجه في التفسير الذي ظهرت معالمه من خلال النبذات اليسيرة المشار إليها، هو تفسير يحتاج إلى عمر مديد وتفرّغ كامل كما أشار، ولكنّ المانع ليس الدور التاريخيّ الذي أدّاه قدس سره وشغل تمام وقته، فإنّ ذلك إنّما كان في الشطر الأخير من عمره المبارك؛ أمّا التفرُّغ الكامل الذي يعنيه، فهو عن النشاطات العلميّة والتربويّة وأمثالها، ممّا كان يقوم

(1) الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق، ص496.

به قدس سره في طول حياته العامرة بالنشاط.

مهما يكن، فإنّ للإمام قدس سره منهجاً متكاملاً في التفسير، يمكن اكتشاف ملامحه من خلال ما وصلنا من تراث مكتوب أو محاضرات أو متفرّقات أخذت طابع الشواهد في خطاباته ودروسه المتنوّعة.

أبرز معالم هذا المنهج ومميّزاته

1 - تميُّزه بالطابع العرفانيّ الواضح، فهو يحاول عند تفسير الكلمات والجمل والظواهر القرآنيّة أن يغوص في الأبعاد المعرفيّة لتلك الكلمات والجُمل. فهو يرى أنّ التفسير ينبغي أن يمهّد للإنسان سُبل الاستفادة من معارف الكتاب العزيز، ففي القرآن تبيان كلّ شيء، كما يصرّح القرآن نفسه بذلك: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[1]، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[2]. ففي الكتاب أمور لا نستطيع أن نفهم لبابها، وما نفهمه هو ظواهرها، والظواهر هي للجميع، لكنْ ثمّة شيء آخر ينتفع منه الجميع ولا يدركه الجميع. الانتفاع الذي يجب أن يتحقّق هو انتفاع «إنّما يعرف القرآن من خُوطب به»؛ أي الانتفاع بما يعرفه أهل البيت عليهم السلام من الكتاب، وهذا يستدعي تجاوز الظاهر ومحاولة الوصول إلى ما فهمه وعرفه مَن خوطب به.

وليس الطابع العرفانيّ للتفسير طابعاً تحميليّاً، ولا هو تكلّف ما لا يتحمّله ظاهر الألفاظ القرآنيّة، وإنّما هو نوع من الإدراك للمعنى الذي

(1) سورة النحل، الآية 89.
(2) سورة الأنعام، الآية 38.

يدلّ عليه اللفظ. كيف لا يكون كذلك وقد أكّد قدس سره مراراً أنّ الكتاب الشريف هو أهمّ مصدر عرفانيّ. فعرفانه قدس سره هو من القرآن والحديث.

فعندما يتحدّث عن الأسماء مثلاً، يرى أنّ عمق المدلول يتجاوز الاسم الاعتباريّ الذي نطلقه نحن على شيء ليكون دليلاً عليه ومشيراً إليه، لكنّه لا يخرج عن المعنى الأصليّ للأسماء التي هي علامات وسمات ودلائل، لكنّه يذهب بعيداً في البحث عن الآيات والعلامات والدلائل التي تدلّ على الله -تعالى-، فيدخلها كلّها في الأسماء، ويطبّق المعنى اللغويّ عليها، لينتج عنده أنّ كلّ موجود هو اسم من أسماء الله. وهكذا عندما يتحدّث عن الحمد أو عن التسبيح، وخاصّة تسبيح الكائنات.

ومن الجدير بالذكر، أنّ الإمام قدس سره وإن كان يعتمد ويرجّح منهج أهل المعرفة، لكنّه مع ذلك لا يُغفل آراء غير العرفاء وأقوالهم؛ فتارةً يشير إليها بشكل عابر ليؤيّدها أو لينقدها أو لينبّه إلى أنّها من التفسير للظاهر الذي لا يتنافى مع التفسير العرفانيّ الأعمق.

2 - يمتاز منهج الإمام قدس سره في التفسير بأنّه يستند إلى عنصر التدبّر والاستنطاق، وذلك يشكل استجابة عمليّة للنصوص القرآنيّة الحديثيّة الداعية إلى التدبر وإعمال العقل في فهم القرآن، والاستفادة ممّا ورد في التفسير عن أهل بيت العصمة والطهارة. ولا ينطلق قدس سره في التفسير على أساس من الثوابت التي يُفسّر القرآن على ضوئها، بل هو يحاول أن يبني ثوابته على أساس ما ينتجه التدبّر في القرآن.

وهذا يجعل تفسيره أبعد ما يكون عن التفسير بالرأي، الذي يحمل عليه بشدّة.

3 - يمتاز أيضاً بظاهرة الاستفادة من عنصر الأدعية المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، لاحتوائها الكثير من المعارف التي يمكن الاستعانة بها على فهم المقاصد القرآنيّة. ومن أبرز ما أورده بكثرة في ثنايا تفسيره، بل في عدد من خطبه «المناجاة الشعبانيّة» التي تتضمّن من التعبيرات العرفانيّة ما يسلّط الضوء على المفاهيم التي يريد استكشافها من خلال التفسير.

وهنا، يجدر التذكير بأنّ هذه الاستعانة مبنيّة على ما هو معروف من كونهم عليهم السلام كتاب الله الناطق، على ما بينهم وبين القرآن من ارتباط وثيق يجسّد قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**»[1].

فما عندهم هو القرآن ومن القرآن، فهو الدليل عليهم، وهم الأدلّاء عليه.

4 - يؤكّد قدس سره باستمرار أنّ ما يذكره من معانٍ للآيات إنّما هو على نحو الاحتمال لا القطع، وهذه النقطة تكشف عن أمور:

الأوّل: الدقّة والتقيّد بعدم نسبة شيء إلى الباري -عزّ وجلّ- مع احتمال الخطأ الذي هو ملازم لعدم العصمة. فهو من الناحية الشرعيّة يريد أن يطمئنّ إلى أنّه لم ينسب إليه -تعالى- ما فهمه من

(1) هذا الحديث متواتر تواتراً معنويّاً عند الفريقين. انظر: الصفّار، بصائر الدرجات، مصدر سابق، ج8، ص433 - 434؛ ابن حنبل، مسند أحمد، مصدر سابق، ج3، ص14؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، مصدر سابق، ج3، ص148، وغيرها من المصادر.

الآيات، وإنّما هو فهمه الخاصّ، وإدراكه ومشاهداته، واستفاداته من كلام الله.

الثاني: ترك الباب مفتوحاً أمام المزيد من التدبّر والتأمّل في سبيل الوصول إلى عمق أكثر من البطون والمعاني، وعدم إغلاق أبواب البحث والتدبّر؛ وهذا يجعل من منهجه منهجاً علميّاً تحقيقيّاً، بعيداً عن الجمود والانغلاق.

الثالث: يُستكشف من هذه النقطة روحيّة أخلاقيّة للإمام قدس سره، ترتكز على التطبيق العمليّ الدقيق للتواضع والاعتراف بالقصور، والابتعاد عن الأنانيّة والعُجب.

5- يمتاز الإمام قدس سره في تراثه التفسيريّ بأنّه يستفيد من المناسبات في أبحاثه للاستطراد في المباحث الأخلاقيّة بشكل مركّز وعميق، ليضفي على عمله ميزة تربويّة تتناسب مع المقاصد العليا للقرآن الكريم، وهي صناعة الإنسان. ولقد عبّر في أكثر من مكان عن هذه الحقيقة، فقال: «إنّ الغاية التي تنزّل من أجلها القرآن هي صنع الإنسان وجعله إنساناً».

6- يُعرض قدس سره في تفسيره عن الأسباب في ذكر الجهات التركيبيّة واللغويّة والأدبيّة للآيات الشريفة والوجوه البلاغيّة، اعتماداً على ما تعرّض له علماء التفسير في كتبهم غالباً، وقد يورد ما لا بدّ له منه، ويقتصر على أمور لم يُتعرَّض لها أو ذُكرت ذكراً ناقصاً.

وهذا يعني أنّه لا يفسّر لإبراز قدراته التفسيريّة -كما يفعل الكثير من المفسّرين والمصنّفين في مختلف العلوم-، وإنّما هو

يخوض في أمور يلزمه الخوض فيها؛ استجابةً للحاجة الفعليّة التربويّة والتعليميّة.

7 - يذكر الإمام في تفسيره -أحياناً- مراتب طوليّة للمعنى، مع إمكان إرادتها جميعاً. ولعل ذلك من التطبيقات التي توصّل إليها لبطون القرآن الكريم... ولا شكّ في أنّ الكثير من ذلك يمكن استخراجه من أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

وأخيراً، فإنّه لا يمكن لأمثالي أن يدّعي الإحاطة بدقّة بخصائص هذه الشخصيّة العظيمة، وخاصّة في ما يرتبط بكيفيّة تعامله مع كتاب الله، ومقدار انكشاف حقائقه له، وقد قدّمنا أنّه رجل القرن، بل رجل التاريخ في هذا الجانب، كما في بقيّة الجوانب... وحسبنا هنا الاعتراف بالقصور والعجز.

الفصل الثالث

تفسير سورة الفاتحة

تعريف بالسورة

هذه السورة مكّيّة بإجماع المفسّرين، وقيل: أنزلت مرّتين: مرّة بمكّة، ومرّة بالمدينة[1]، والظاهر أنّها نزلت أوائل البعثة النبويّة الشريفة. ولهذه السورة تسميات كثيرة، منها:

1. الحمد؛ لأنّها تبدأ بحمد الله.
2. الفاتحة؛ لما ورد في الروايات المستفيضة من أنّه «لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب»، ولأنّها وضعت عند تدوين المصحف في مفتتحه .
3. السبع المثاني؛ لما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[2]، ولما ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**سميت المثاني؛ لأنّها يثنّى في الركعتين**»[3].
4. أمّ الكتاب؛ لأنّها متقدّمة على سائر سور القرآن، وغيرها من التسميات[4].

---

(1) انظر: الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج1، ص47.
(2) سورة الحجر، الآية 87.
(3) العياشي، تفسير العياشي، مصدر سابق، ج1، ص19.
(4) انظر: الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج1، ص47-48.

فضيلة السورة

وردت في فضل هذه السورة روايات كثيرة، منها:

1. ما روي عن الإمام عليّ عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «إنّ الله -عزّ وجلّ- قال لي: يا محمّد، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[1]، فأفردَ الامتنان عليَّ بفاتحة الكتاب، وجعلها بإزاء القرآن العظيم، وإنّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإنّ الله خصّ محمّداً وشرّفه بها، ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان، فإنّه أعطاه منها ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ألا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت: ﴿إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[2]؟ ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمّد وآله الطيّبين، منقاداً لأمرهما، مؤمناً بظاهرهما وباطنهما، أعطاه الله -عزّ وجلّ- بكلّ حرف منها حسنة، كلّ واحدة منها أفضل له من الدنيا بما فيها من أصناف أموالها وخيراتها، ومن استمع إلى قارئ يقرأها، كان له قدر ثلث ما للقارئ، فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرض لكم، فإنّه غنيمة، لا يذهبنّ أوانه، فتبقى في قلوبكم الحسرة»[3].

(1) سورة الحجر، الآية 87.
(2) سورة النمل، الآية 30.
(3) الشيخ الصدوق، الأماليّ، مصدر سابق، ص241.

2. ما رواه أُبيّ بن كعب عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**أيّما مسلم قرأ فاتحة الكتاب، أُعطي من الأجر كأنّما قرأ ثلثَي القرآن، وأُعطي من الأجر كأنّما تصدّق على كلّ مؤمن ومؤمنة**»[1].
3. ما رواه محمّد بن مسعود العيّاشيّ بإسناده: أنّ النبيّ ﷺ قال لجابر بن عبد الله الأنصاريّ: «**يا جابر، ألا أعلّمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه**؟ قال: فقال له جابر: بلى، بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، علّمنيها، قال: فعلّمه الحمد أمّ الكتاب، ثمّ قال: **يا جابر ألا أخبرك عنها**؟ قال: بلى، بأبي أنت وأمّي، فأخبِرني، فقال: **هي شفاء من كلّ داء إلّا السامّ، والسامّ الموت**»[2].
4. ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**من لم يُبرئه الحمد، لم يُبرئه شيء**»[3].

البحث التفسيريّ

الآية (1)

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾:

بدأ الله -تعالى- كلامه باسمه؛ ليكون ذلك أدباً يؤدِّب به عبادَه في مقام التأدّب بآداب العبوديّة في العلاقة القائمة بين العبد وربّه،

(1) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج1، ص48.
(2) العيّاشيّ، ابن مسعود، تفسير العيّاشيّ، تحقيق: هاشم الرسوليّ المحلاّتيّ، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، طهران، لا.ت، لا.ط، ج1، ص20.
(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص626.

فيبدأون أعمالهم وأقوالهم باسمه -تعالى-، وليكون العمل أو القول مُعَنْوَناً ومعلّماً ومتّسماً به دائماً؛ لأنّه هو الأوّل والآخِر: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[1]، وهو المبدأ والمنتهَى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ﴾[2]، وهو المقصود والمستعان والمعتَمَد: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[3].

روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**كلّ أمرٍ ذي بالٍ لم يُبدأ فيه باسم الله فهو أبتر**»[4]. فما يبدأ باسمه -تعالى- من شأنه البقاء والاستمرار: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾[5].

وورد في الروايات أنّ آية البسملة أعظم آية في الكتاب، وهي أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها، وهي أحقّ ما يُجهر به، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجهر بها[6].

وهي جزء من كلّ سورة في القرآن الكريم عدا سورة براءة (التوبة) بإجماع الإماميّة، ووافقهم على ذلك مذهب الشافعيّة، واتّفق المسلمون على رسمها في المصاحف من أوّل الأمر. وأخبار أهل السنّة كثيرة على أنّها جزء من السورة، لكنّ بعض مذاهبهم على أنّها ليست جزءاً إلّا من سورة الفاتحة[7].

---

(1) سورة الحديد، الآية 3.
(2) سورة النجم، الآية 25.
(3) سورة التوحيد، الآية 2.
(4) العلاّمة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج73، ص305.
(5) سورة القصص، الآية 88.
(6) انظر: العيّاشيّ، تفسير العيّاشيّ، مصدر سابق، ج1، ص19-22.
(7) انظر: المقداد السيوريّ، الفاضل المقداد بن عبد الله، كنز العرفان في فقه القرآن، تعليق: محمّد باقر شريف زاده، إشراف وتصحيح وتخريج: محمّد باقر الهبوديّ، المكتبة الرضويّة، مطبعة حيدريّ، طهران، 1384هـ.ق/ 1343هـ.ش، لا.ط، ج1، ص119-120.

روى صفوان الجمّال عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**ما أنزل الله من السماء كتاباً إلّا وفاتحته بسم الله الرحمن الرحيم، وإنّما كان يُعرف انقضاء السورة بنزول** ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **ابتداءً للأخرى**»[1].

وما تجدر الإشارة إليه، بل لا بدّ من التأكيد عليه منذ البداية، أنّ هذه المحاولات التفسيريّة ليست ممّا أزعم علمَه، ولا ممّا أقدر عليه، فابتعاداً عن تفسير القرآن بالرأي، ومجانبةً لادّعاء العلم بالقرآن، وعملاً بنهي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الأطهار عليهم السلام عن تفسير القرآن الكريم ما لم نفقهه عن عالم، لا تعدو هذه الكلمات أن تكون نقلاً لما أفاضه المفسّرون، وتلخيصاً لما أوردوه، وجولةً فيما حبّروا به مصنّفاتهم. ويبقى للعاقل أن يتأمّل ويتدبّر ويتّعظ، ويأخذ منه ما وسعه إدراكه، وتحمّله قلبه وعقله.

عمق المعنى، وضعف الوسيلة

لولا أمر الباري -عزّ وجلّ- بالتدبّر في آيات القرآن: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾[2]، لكان الأجدر بالمرء أن يصاب بالإحباط، ويعترف بالعجز أمام عظمة القرآن وعمق معانيه وسَعة آفاقه، حتّى وكأنّنا نمسك بطرف خيط لا ندري إلى أين ينتهي! فالقرآن: «له ظهر

(1) العيّاشيّ، تفسير العيّاشيّ، مصدر سابق، ج1، ص19.
(2) سورة النساء، الآية 82.

وبطن»[1]، وفيه بيان كلّ شيء: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[2]، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[3].

روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «**ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله -عزّوجلّ-، ولكن لا تبلغه عقول الرجال**»[4].

وعنه عليه السلام -أيضاً-: «**إنّ الله -تبارك وتعالى- أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء، حتّى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن، إلّا وقد أنزله الله فيه**»[5].

فالعبرة -إذاً- في استخراج ذلك، وأنّى لنا نحن القاصرين أن نحيط بالظاهر فضلاً عن الباطن، وبالسطح فضلاً عن العمق!

وليس مستغرباً أن يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير فاتحة الكتاب**»[6]، أو: «**لو شئت لأوقرت بعيراً في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم**»[7].

---

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص374.
(2) سورة النحل، الآية 89.
(3) سورة الأنعام، الآية 38.
(4) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص60.
(5) المصدر نفسه، ص59.
(6) ابن شهرآشوب، محمّد بن عليّ، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، تحقيق وتصحيح وشرح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، 1376هـ.ق/ 1956م، لا.ط، ج1، ص322.
(7) الإربليّ، عليّ بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام، دار الأضواء، بيروت، 1405هـ.ق/ 1985م، ط2، ج1، ص128.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾:

الباء حرف جرّ تعلّق بمحذوف، لكنْ ما هو هذا المحذوف؟ فبحسب تقدير المحذوف يتعيّن معنى الباء، والحال أنّ استعمالات الباء متعدّدة، منها:

1 - للاستعانة، كما تقول: استعنت بالله، وكتبت بالقلم، وأكلت باليمين، وقوله -تعالى-: ﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾[1].

2 - للمصاحبة، كما في قوله -تعالى-: ﴿ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ﴾[2].

3 - للسببيّة، كما في قوله -تعالى-: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ﴾[3].

4 - للظرفيّة، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ﴾[4]، ﴿نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾[5].

5 - للتَعْدية، كقوله -تعالى-: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾[6]، وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾[7].

6 - للتبعيض، كقوله -تعالى-: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾[8].

7 - للقَسَم، كقوله -تعالى-: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾[9].

(1) سورة العلق، الآية 4.
(2) سورة هود، الآية 48.
(3) سورة العنكبوت، الآية 40.
(4) سورة آل عمران، الآية 123.
(5) سورة القمر، الآية 34.
(6) سورة البقرة، الآية 17.
(7) سورة مريم، الآية 25.
(8) سورة المائدة، الآية 6.
(9) سورة القصص، الآية 17.

8 - للتوكيد؛ كقوله -تعالى-: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[1].

وغير ذلك من موارد استعمال الباء في اللسان العربيّ.

باء البسملة

وردت مجموعة من التفسيرات في معنى باء البسملة، أبرزها:

1. إنّها للاستعانة، بتقدير: استعينوا باسم الله، أو اقرأوا باسم الله.
2. إنّها للابتداء، بتقدير: أبتدئ باسم الله، وهو الأَوْلى، كما رجّح السيّد الطباطبائيّ[2]، باعتبار أنّه يتناسب مع ما ورد في الرواية المتقدّمة: «كل أمرٍ ذي بالٍ لم يُبدأ فيه باسم الله فهو أبتر».
3. إنّها للملابسة، والمراد هو الابتداء نفسه؛ أي أبتدئ ملابساً لاسم الله.

ويبدو أنّه يمكن إرادة ما هو أعمّ؛ لأنّ الابتداء باسم الله، ولأنّ كلّ شيء يصدر ملابساً لهذا الاسم، معتمداً عليه، مستعيناً به، ومرتبطاً به، فهو لوجهه، وما كان لوجهه فهو باقٍ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[3]، فلا تنافي بين الاستعانة والملابسة.

(1) سورة النساء، الآية 79.
(2) انظر: الطباطبائيّ، السيد محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قمّ المقدّسة، لا.ت، لا.ط، ج1، ص15-16.
(3) سورة القصص، الآية 88.

الاسم وسيلة للتعلّق بالمسمّى

ورد ذِكْر الاسم في أكثر من موضع من القرآن الكريم، منها:

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[1].

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾[2].

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[3].

فلا شكّ في أنّ الإنسان يعجز عن معرفة كنه الذات الإلهيّة، بل يعجز عن معرفة حقيقة الأسماء الإلهيّة، وغاية ما يتصوّره هو الحدّ الأدنى والجانب الميسور من السمات والدلائل الدالّة على صفاته وخصائصه، وما يشير إلى المسمّى بأنحاء من الإشارة، فكان التركيز على الأسماء الدالّة والمشيرة إليه -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾[4]. والاسم، وإنْ لم يكن عين المسمّى، إلاّ أنّه وسيلة إلى ندائه ودعائه والتعلّق به. والإنسان ينظر إلى الاسم نظرة آليّة يريد من خلاله المسمّى، بل قد يغفل عن الاسم، كما هي الحال عندما ينظر الإنسان إلى صورته في المرآة، فهو يريد أن يرى نفسه، فربّما لا يلتفت إلى المرآة، حيث ينصبّ نظره على الصورة الظاهرة فيها.

(1) سورة العلق، الآية 1.
(2) سورة الواقعة، الآية 74.
(3) سورة الأعلى، الآية 1.
(4) سورة الأعراف، الآية 180.

وأسماؤه -تعالى- مشتقّة من صفاته، والدعاء بها ينبّه الإنسان إلى تلك الصفات التي تشعره بالحاجة إلى صاحبها، وبالضعف المطلق أمامها؛ ممّا يثير لديه الرغبة الشديدة في الارتباط بها، والفناء في التعلّق بصاحبها.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

وهما صفتان من صفاته تعالى، وصف بهما نفسه في سياق الابتداء باسمه، فكأنّه أراد إظهار وجه الابتداء باسمه، والغاية من ذلك، ليكون الارتباط به -تعالى- موجباً لنزول رحمته، والدخول في رجائه.

والرحمن: صفة مبالغة، تفيد الكثرة، مثل: غضبان للممتلئ غضباً، أو شديد الغضب.

والرحيم: صفة مشبّهة، تفيد تماميّة الصفة، ودوامها وثباتها.

وقيل: إنّ الصفة الأُولى تدلّ على كثرة صدور الرحمة منه -تعالى- وامتلائه بها، والثانية تدلّ على ثبات الصفة ودوامها ورسوخها؛ فالرحمن ناظرة إلى الكمّ، والرحيم ناظرة إلى الكيف.

ولكنّ هذا ينافي جواز إطلاق صفة الرحيم على البشر، وعدم جواز إطلاق صفة الرحمن إلّا على الله؛ لأنّ الرسوخ والدوام مختصّ به تعالى، إلّا أن يقال إنّ الدوام والثبات نسبيّان، وهما بالنسبة إلى الإنسان يختلفان عنهما بالنسبة إلى الباري -عزّ وجلّ-. أمّا الرحمن فهي امتلاء بالصفة، وليس من البشر من يوصف بذلك. والله أعلم.

وفي بعض الروايات أنّ الرحمن رحمان الدنيا، والرحيم رحيم الآخرة[1].

وفي دعاء مأثور عن الإمام الصادق عليه السلام: «**يا رحمان الدنيا والآخرة، ورحيمهما**»[2].

وعنه عليه السلام -أيضاً-: «**الرحمن بجميع خلقه، والرحيم بالمؤمنين خاصّة**»[3].

وأمّا سبب اختيار هاتين الصفتين، فربّما يرجع إلى أنّهما تستبطنان الصفات الأخرى كلّها؛ لأنّ رحمته -تعالى- تستوجب الرأفة، واللطف، والعفو، والمغفرة، والرزق، والشفاء وغيرها.

فائدة أخلاقيّة

إذا تعلّق قلب الإنسان المؤمن بربّه، واعتاد طرق باب رحمته بالبسملة، فإنّه يوشك أن يفتح له، فتناله الرحمة بكلّ أبعادها وتجلّياتها؛ وبذلك يندفع إلى الحفاظ على موجبات نزولها، وإزالة العقبات والعوائق كلّها التي تحجبها.

كما أنّ التعلّق بالرحمة الإلهيّة يفرض على الإنسان التشبّه بالخالق عن طريق التشبّه النسبيّ بصفاته، فكيف يتوقّع الإنسان

(1) انظر: الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج1، ص54.
(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص 557.
(3) البرقيّ، المحاسن، مصدر سابق، ج1، ص238.

تواتر الرحمة الإلهيّة عليه، والحال أنّ قلبه خال من أيّ رحمة تجاه مخلوقات الله وعباده! بل إنّ من مقتضيات الفطرة إذا حصل الإنسان على نعمةٍ، أو نال رحمةً، أو أُحسن إليه، أن يشجّعه ذلك على الإحسان إلى غيره، والإفاضة عليه بجزء ممّا أصابه.

وعلى العكس -غالباً-، إذا قاسى الإنسان من العذاب، وعانى من الصعاب، فإنّ ذلك قد يدفعه إلى تبرير قسوته على الآخرين، واستهانة نزول الصعاب عليهم.

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدّث عن رحمة الله -تعالى-، وتبيّن خصائصها، منها:

1 - ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[1].

2 - ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾[2].

3 - ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3].

4 - ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[4].

5 - ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[5].

6 - ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[6].

وروي عن الإمام الجواد عليه السلام: «... **وعلموا أنّ الله -تبارك وتعالى- الحليم العليم، إنّما غضبه على من لم يقبل منه رضاه،**

(1) سورة غافر، الآية 7.
(2) سورة الأنعام، الآية 147.
(3) سورة الأعراف، الآية 156.
(4) سورة الأنعام، الآية 12.
(5) السورة نفسها، الآية 54.
(6) سورة الأعراف، الآية 56.

وإنّما يمنع من لم يقبل منه عطاه، وإنّما يضلّ من لم يقبل منه هداه...، وكتب على نفسه الرحمة، فسبقت قبل الغضب، فتمّت صدقاً وعدلاً، فليس يبتدئ العبادَ بالغضب قبل أن يغضبوه، وذلك من علم اليقين وعلم التقوى. وكلّ أمّة قد رفع الله عنهم علم الكتاب حين نبذوه، وولّاهم عدوّهم حين تولَّوه...»[1].

موجبات نزول الرحمة الإلهيّة

1 - ذِكْر الله -تعالى-: «**بذكر الله تُستَنزَل الرحمة**»[2].

2 - العفو والصفح عن الآخرين: «**بالعفو تنزل الرحمة**»[3].

3 - بذل الرحمة: «**ببذل الرحمة تُستَنزَل الرحمة**»[4]، «**أبلَغ ما تُستَدرّ به الرحمة أن تُضمِر لجميع الناس الرحمة**»[5].

4 - طاعة الله ورسوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[6]، «**تعرّضوا لرحمة الله بما أمركم به من طاعته**»[7].

---

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج8، ص52-53.

(2) الواسطيّ الليثيّ، علي بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ، دار الحديث، قمّ المقدّسة، 1376هـ.ش، ط1، ص188.

(3) الآمديّ، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق: مصطفى الدرايتيّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قمّ المقدّسة، 1986م، ط1، ص148.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه، ص99.

(6) سورة آل عمران، الآية 132.

(7) ابن ورّام، ورّام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، دار الكتب الإسلاميّة؛ مطبعة حيدريّ، طهران، 1368هـ.ش، ط2، ص439.

5 - العمل بالكتاب، وتقوى الله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

6 - الالتزام بالعبادات: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2].

7 - الاستغفار: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

ومن موانع نزول الرحمة: عدم رحمة الآخرين: «**رحمة من لا يرحم تمنع الرحمة، واستبقاء من لا يبقي يهلك الأمّة**»[4]، «**من لا يرحم الناس منعه الله رحمتَه**»[5].

الآية (2)

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

تقسم سورة الفاتحة إلى ثلاثة أقسام، هي:

-الحمد والثناء.

-الإخلاص.

-الدعاء.

والحمد يقابل اللّوم، والمدح يقابل الذمّ، والشكر يقابل الكفران. ويقع الحمد على الفعل الاختياريّ، سواء أكان إحساناً للحامد أم لم يكن، ويقع الشكر على خصوص الإحسان، ويقع

(1) سورة الأنعام، الآية 155.
(2) سورة النور، الآية 56.
(3) سورة النمل، الآية 46.
(4) الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص270.
(5) المصدر نفسه، ص293.

المدح على الصفة أو الفعل، سواء أكان اختيارياً أم لم يكن. والحمد هو الثناء بالفضيلة، وهو أخصّ من المدح، وأعمّ من الشكر؛ لأنّه على خصوص النعمة. وفي الآية حصرٌ للحمد كلّه به تعالى؛ وذلك لأنّ اللام في «الحمد» للجنس أو للاستغراق، وكلاهما يفيد الشمول، إمّا للأفراد أو للمراتب، فهو المستحقّ لحقيقة الحمد.

وكلّ حمد لغير الله -تعالى-، على أيّ فعل من الأفعال، يؤول ويرجع إليه -تعالى-؛ لأنّه هو المنعم به.

وفي القرآن آيات كثيرة تبدأ بذكر الحمد لله، وتنتهي به، منها: قوله -تعالى-: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[1]، ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

وكلمة ﴿رَبِّ﴾ تستبطن جميع أسماء الفعل للذات الإلهيّة؛ لأنّ ربوبيّته -تعالى- من موقع تدبيره، وذلك يقتضي أن يكون حكيماً، عليماً، قادراً، خالقاً، رازقاً، معطياً، رؤوفاً، شافياً...

و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جمعٌ لا واحد له في لفظه، وهو ليس جمع عالَم -كما قيل-؛ لأنّ عالَم غير عاقل، يُجمع على عوالم.

فما المراد من العالمين هنا؟

فهل هو المخلوقات كلّها بما لها من مراتب في الشعور والإدراك؟

(1) سورة القصص، الآية 70.
(2) سورة يونس، الآية 10.

وإذا كان هذا المعنى تامّاً، فهو يشير إلى شموليّة ربوبيّته -تعالى-، أم المراد خصوص المخلوقات العاقلة، لتشمل عالم البشر والجنّ والملائكة؟

قد يميل بعض إلى المعنى الثاني؛ باعتبار أنّ عدداً لا بأس به من الآيات القرآنيّة استخدم الكلمة في البشر، مثل قوله -تعالى-:

-﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

-﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

-﴿صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[3].

-﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4].

-﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾[5].

-﴿ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾[6].

-﴿أَوَ لَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[7].

-﴿ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[8].

(1) سورة آل عمران، الآية 42.
(2) سورة البقرة، الآية 47.
(3) سورة العنكبوت، الآية 10.
(4) سورة آل عمران، الآية 33.
(5) سورة غافر، الآية 31.
(6) سورة الأنعام، الآية 90.
(7) سورة الحجر، الآية 70.
(8) سورة الأنبياء، الآية 91.

-﴿مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

-﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

وقد يذهب بعض آخر إلى شمولها لكلّ المخلوقات؛ نظراً إلى شموليّة الربوبيّة من جهة، وانطلاقًا من قوله -تعالى-: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[3].

الآية (3)

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

تقدّم الكلام في تفسير الرحمن والرحيم في آية البسملة.

الآية (4)

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾:

﴿مَٰلِكِ﴾ من المِلك -بكسر الميم-، بمعنى الإحاطة والسيطرة والتسلّط.

والملكيّة قد تكون واقعيّةً كاملة، وقد تكون نسبيّة، فمالكيّة الباري -عزّ وجلّ- واقعيّة حقيقيّة تامّة، بينما مالكيّة الإنسان اعتباريّة مجازيّة، أو نسبيّة من جهة تسلّط الإنسان على بعض أنحاء التصرّف، وإنْ كان ذلك بتمليكٍ من الله، وتسليطٍ منه.

(1) سورة المائدة، الآية 20.
(2) السورة نفسها، الآية 115.
(3) سورة الشعراء، الآيتان 23-24.

والله مالك كلّ شيء؛ لأنّ الأشياء لا حظّ لها من الوجود إلّا به -تعالى-، وليس لها واقع مستقلّ عنه.

﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾:

هو يوم الجزاء؛ أي يوم القيامة، ويوم الحساب؛ لأنّ الدين يأتي بمعنى الجزاء، وبمعنى المكافأة، والديّان: القهّار والقاضي والحاكم.

وبالتأمّل في ما تقدّم من هذه السورة المباركة، يظهر أنّ الحمد والثناء قد يكونان ناشئان من إدراك الحامد لحسن ذات المحمود وصفاته دون النظر إلى أفعاله، وقد يكونان ناشئان من النظر إلى أنعامه، أو الرغبة فيه، أو الرهبة منه.

وقد أشير إلى المنشأ الأوّل بلفظ الجلالة (الله).

وأشير إلى المنشأ الثاني بربّ العالمين.

وأشير إلى المنشأ الثالث بالرحمن الرحيم.

وأشير إلى المنشأ الرابع بمالك يوم الدين.

وهذه الآيات الثلاث فيها قصّة المبدأ والمعاد كاملة؛ من الألوهيّة التي تقتضي صفات الكمال، وتستوجب إفاضة الخلق، والسيطرة على المخلوقات، إلى الربوبيّة التي تعني التدبير والتصرّف والرعاية، وصولاً إلى مقامات الرحمة التي توجب الرغبة والتعلّق الدائم والمستمرّ، ثمّ المعاد، فالحساب والجزاء.

والمعاد هو من أكثر أصول الدين التي ينكرها البشر، بخلاف

الإيمان بوجود الله، ويؤيّد ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[3].

لماذا إنكار يوم الجزاء؟

يبدو أنّ سبب الإنكار لم يكن معرفيّاً؛ فلم يكن ثمّة نقص في الدليل، كما قد يُتوهّم، وإنّما يتولّد الإنكار من أنّ الاعتقاد بالجزاء يقتضي ترتيب الحياة بطريقة تؤدّي إلى السلامة الأخرويّة، وإلى الحذر من الوقوع في ما يستوجب العذاب والعقاب، وهذا ما لا يتناسب مع شهوات المنكرين وأهوائهم وأفعالهم التي لا توصلهم إلى السلامة؛ فالإنكار يأتي جحوداً أو مكابرة. وهذه العاقبة الاعتقاديّة تسبق العاقبة الفعليّة يوم القيامة.

(1) سورة العنكبوت، الآية 61.
(2) السورة نفسها، الآية 63.
(3) سورة الزخرف، الآية 87.

لماذا التأكيد على مالكيّة يوم الدين؟

لا شكّ في أنّ سبب التأكيد على يوم الدين هو أنّ ملكوت كلّ شيء بيد الله -تعالى-، والمِلك الحقيقيّ يقتضي إمساك الأمور بذاتها ووجودها وكلّ أبعادها.

معنى ﴿يَوۡمِ﴾:

إنّ الاعتبار الزمانيّ لليوم مرتبط بحركة الفلك، حيث يتغيّر الاعتبار بتغيّره، ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1]، ويوم القيامة فترة زمنيّة يقوم فيها الناس للحساب، ويخضع تحديدها لاعتبارات كونيّة تناسب ذلك اليوم، ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾[2]، ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[3].

الآية (5)

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾:

وردت العبادة في اللّغة على معانٍ ثلاثة:

- الطاعة: ومنه قوله -تعالى-: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[4].

(1) سورة الحجّ، الآية 47.
(2) سورة الانفطار، الآية 19.
(3) سورة غافر، الآية 16.
(4) سورة يس، الآية 60.

- الخضوع والتذلّل: ومنه قوله -تعالى-: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾[1]، ﴿وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[2] ومنه إطلاق المُعبَّد على الطريق التي يكثر المرور عليها.
- التألّه: ومنه قوله -تعالى-: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ﴾[3]. فالإنسان عبد، وإنْ كان حرّاً؛ لأنّه مربوب لبارئه، وخاضع له في أنحاء وجوده كلّها، وفي جميع شؤونه، وإنْ كان متمرّداً على أوامره. والرقيق عبد؛ لأنّه مملوك، وسلطانه بيد مالكه.

أسّست السورة من بدايتها حتّى قوله -تعالى-: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ بنياناً عقديّاً وفكريّاً متيناً مبنيّاً على معرفة الذات الإلهيّة، والصفات التي تنبثق عن الذات، والتي تستحقّ الحمد؛ لأنّها مصدر الرحمة، وبيدها الخلق والتدبير، وإليها المآل والمرجع، وبيدها الجزاء والحساب. وبعد بيان ذلك كلّه، انتقلت السورة إلى أمر جديد ليس منفصلاً أبداً عن الأساس الفكريّ؛ لأنّ العقيدة ليست مجرّد رؤية، ولا مجرّد فكرة منفصلة عن الواقع العمليّ، بل هي عقيدة متّصلة بالحياة، لها انعكاسها على أفعال الإنسان وحركته ومواقفه. وقد اعتمدت السورة على هذا الأساس العقديّ والفكريّ، فحصرت حقّ العبادة بالباري -عزّ وجلّ-؛

(1) سورة المؤمنون، الآية 47.
(2) سورة الشعراء، الآية 22.
(3) سورة الرعد، الآية 36.

باعتبار أنّ ذلك يمثّل نتيجة طبيعيّة لهذا الأساس؛ ما يقتضي رفض الخضوع لغيره -تعالى-، ونبذ طاعة أحد سواه، واجتناب عبادة الذات، بما فيها من عُجب وكبر، واجتناب عبادة الهوى، وعبادة الشيطان والدنيا، بما فيها من مال وجاه ومناصب وزعماء وحكّام وما شابه. وهذا تأكيد على ضرورة الربط بين العقيدة وبين السلوك بشكل منطقيّ وطبيعيّ.

لمعات تدبّريّة

1 - تقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ يفيد الاختصاص، وفي ذلك كمال التوحيد، ونفي الشرك، والتحرّر من أيّ رابطة أخرى.

2 - الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، يفيد كمال الحضور والتعلّق به -تعالى-، من خلال الخطاب المباشر، وعدم الاكتفاء بالانتقال الذهنيّ من خلال الحديث عن الغائب، بل المواجهة بما تستلزمه من الإحساس بها والحضور والاتّصال والمشاهدة.

3 - تكرار ﴿إِيَّاكَ﴾، يفيد التأكيد على الاختصاص بالعبادة والاستعانة.

4 - التعبير بصيغة الجمع: ﴿نَعْبُدُ﴾ و﴿نَسْتَعِينُ﴾ يفيد أنّ المطلوب هو تحقيق الحالة الجمعيّة في السلوك العباديّ والطاعة والاستعانة، وفيه إشارة إلى أنّ الباري -عزّ وجلّ- يريد من الإنسان أن يمارس برنامجه التأهيليّ ليكون عضواً فاعلاً في الجماعة التي ينبغي أن يتحمّل مسؤوليّة جعلها منسجمة بأكملها مع الأساس

الفكريّ والعقديّ عمليّاً، وهذا ينسجم تماماً مع تشريع العبادة الجماعيّة، كصلاة الجمعة، والجماعة، والحجّ، وغيرها.

مراتب العبادة بحسب مراتب العقيدة

ورد في الروايات تقسيم العبادة إلى: عبادة العبيد، وعبادة التجّار، وعبادة الأحرار[1]. وهذا التقسيم ناتج عن الأساس الفكريّ والعقديّ، الذي يشكّل منطلقاً للمكلّف في أداء العبادة؛ فتكون بذلك عبادته، تبعاً لهذا الأساس، دائرة بين الخوف من العقاب، وبين الطمع بالثواب، والحبّ الذي يوجب التعلّق بالذات.

ولا تتحقّق الغاية من الخلقة إلّا بالطاعة والعبادة؛ لأنّ الخالق غنيّ عن عباده، عليم بهم، فلم يأمرهم إلّا بما فيه مصلحتهم في دنياهم وآخرتهم، ولم ينهم إلّا عمّا فيه فساد دنياهم وآخرتهم، ففي طاعته كمالهم وسعادتهم، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[2].

الاستعانةُ بالوسيلة والاستعانةُ بالبشر

قد يُتوهّم أنّ الاستعانة بالطبيب والخبير والعامل وبعض الأدوات تعدّ خروجاً عن الإخلاص في العبادة والتوحيد، وقد يقال

(1) انظر: الشريف الرضيّ، نهج البلاغة مصدر سابق، ج4، الحكمة 237، ص53.
(2) سورة البيّنة، الآية 5.

إنّ الاستعانة بالإمام المهديّ عجّل الله فرجه وبالإمام الحسين عليه السلام وبجيوش في الحروب تُعدّ مظهراً من مظاهر الشرك بالعبادة، لكنّ الإشكال ينحلّ بمجرّد الالتفات إلى أنّ المستعان به ليس مستقلًّا بتقديم المعونة، وإنّما هو أداة من الأدوات، وأحد الأسباب التي يهيّئها الباري -عزّ وجلّ-، وقد أُمرنا بالاعتماد عليه والاستعانة به، فذلك داخل في الاستعانة به لا بسواه، والأخذ بالأسباب التي سبّبها وأَمر بالأخذ بها، دون الغفلة عن التوكّل على الله.

نعم، لو استعان الإنسان بشيء ليكون مواجهاً ومقابلَ للقدرة الإلهيّة، فهو من الشرك الواضح.

الآية (6)

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾:

في هذه الآية انتقال من حالة الإقرار بالعبوديّة الخالصة التي عبّرت عنها الآية السابقة، إلى لوازمها، فالمؤمن إذا تحقّقت لديه إرادة الطاعة وإرادة العبادة، وأقرّ بالضعف والفقر والحاجة، فإنّه سيلجأ -بلا أدنى شكّ- إلى مولاه الكريم، الرحيم، والقادر والغنيّ والجواد، ليعينه على سلوك درب العبوديّة الموصِل إليه، وليعرّفه تلك الطريق.

وفي قوله -تعالى-: ﴿ٱهۡدِنَا﴾ لمعات تدبّريّة، منها:

1 - إنّ الطلب للجماعة لا للفرد، فلا يصحّ أن تكون النون للتعظيم؛ لأنّ ذلك منافٍ لمقام الإقرار بالعبوديّة الذي يناسب التواضع

والتصاغر أمام عظمة الباري -عزّ وجلّ-، فالضمير للجماعة حتماً، وهو منسجم مع ما ورد في آداب الدعاء، من أن يعمّم الداعي دعاءه، فيشرك فيه جماعةً من المؤمنين. وأهمّ ما يرجوه المؤمن هو الهداية؛ لذلك ناسب أن يطلبها لنفسه ولإخوانه المؤمنين، كما في مورد الآية.

2 - إنّ الهداية على مراتب، وكلّما تحقّقت مرتبة من مراتبها، احتاج الإنسان إلى هداية جديدة للمرتبة اللّاحقة، بحيث يبقى الإنسان بحاجة إلى هداية الباري -عزّ وجلّ- وإرشاده، والأخذ بيده دائماً، وبشكل مستمرّ، حتّى بعد الوصول إلى المرتبة الأعلى، فإنّ الاستمرار فيها بحاجة إلى هداية مستمرّة، لكي لا يقع فريسة الشهوات والإغراءات والأهواء والشياطين وغير ذلك.

وفي النصوص ما يفسّر الهداية بهذين النحوين: أوّلهما الإرشاد إلى لزوم الطريق، والثاني الدوام والاستمرار على الطريق.

ففي (معاني الأخبار) عن الإمام الصادق عليه السلام في معنى قوله -تعالى-: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ قال: «**إرشادنا إلى لزوم الطريق المؤدّية إلى محبّتك، والمبلّغة إلى جنّتك، والمانعة من أن نتّبع أهواءنا فنعطب، أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك**»[1].

(1) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، مطبعة مهر، قمّ المقدّسة، 1409هـ.ق، ط1، ص44.

وفيه عن الإمام عليّ عليه السلام في تفسير الآية: «**أدم لنا توفيقك الذي أطعناك به في ماضي أيّامنا، حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا**»[1].

1. إنّ الهداية على نوعين: هداية تكوينيّة، وهداية تشريعيّة.

والأولى: عامّة لمخلوقات الباري -عزّ وجلّ- كلّها، وهي هداية لمقتضى الخلقة، ولما أراده لها الباري -عزّ وجلّ-.

والثانية: تتحقّق بالتشريع والتبليغ، ولكنّ هذه الهداية لا تغني عن الهداية التكوينيّة اللاحقة، ويتحدّد معنى الهداية بحسب متعلّقها.

2. إنّ الهداية الإلهيّة لا تستوجب الجبر، حيث إنّ استعراض آيات الهداية، وهي كثيرة في القرآن، يكشف عن أنّ المرتبة الأولى منها مبذولة للجميع، وهي تكون بمنح الإنسان وسائل المعرفة والإدراك، وتوضيح آياته، وجعلها في متناول حواسّه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[2].

ولا تتأتّى المراتب اللاحقة ما لم تتحقّق إرادة الإنسان، فإنّ الله لا يهدي القوم الفاسقين ولا الظالمين ولا الكافرين؛ لأنّهم لم يريدوها ولم يطلبوها، وهذا يمنع القابليّة والاستعداد، فإنّ استحباب الإنسان لنداء الهداية الإلهيّة، استحقّ التوفيق

(1) العلاّمة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج89، ص254.
(2) سورة الإنسان، الآية 3.

لها، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[1]. وكلّما استجاب لمستلزمات المرتبة التي بلغها، أُرشد إلى ما هو فوقها ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾[2]. ولا يُضِلّ الله إلاّ من اختار الضلالة، وامتنع من الاستجابة لنداء الهداية، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾[3].

معنى ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾:

الصراط: هو الطريق والمنهج والسبيل الموصل إلى رضوانه -تعالى-، وهو واحد، بينما السبل الأخرى متعدّدة.

وقد تعدّى الفعل ﴿ٱهۡدِنَا﴾ بدون حرف الجرّ (إلى)، للإشارة إلى أنّ الهداية ليست إليه، بل هي فيه، ذاتيّة دائمة ومستمرّة ومباشرة وحسّيّة.

وقد ورد في بعض الروايات أنّ الصراط المستقيم هو الإمام عليّ عليه السلام والأئمّة من وُلده[4] عليهم السلام، وهو من باب التفسير بالجري والتطبيق، تأكيداً على إمامتهم، وأنّهم هم السبيل المؤدّي إلى الله -تعالى-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[5].

(1) سورة العنكبوت، الآية 69.
(2) سورة مريم، الآية 76.
(3) سورة الصف، الآية 5.
(4) انظر: القمّيّ، علي بن إبراهيم، تفسير القمّيّ، تصحيح وتعليق وتقديم: طيّب الموسويّ الجزائريّ، مؤسّسة دار الكتاب، قمّ المقدّسة، 1404هـ.ق، ط3، ج2، ص28-29.
(5) سورة الأنعام، الآية 153.

الآية (7)

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾:

في الآية بيان وتوضيح للصراط المستقيم، وقد نسبه الله -تعالى- إلى غيره، وقد نسبه في مواضع أخرى إلى نفسه: ﴿صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[1]، ﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ﴾[2]، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾[3]، ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾[4].

وهذه النسبة لا تقتضي التغاير بين الصراطين، فهو الصراط الموصل إليه، وهو الصراط الذي شرّعه الله، فيُنسب إليه، وهو الصراط الذي يسلكه الذين أنعم الله عليهم، فينسب إليهم؛ أي صراط الذين اهتدوا وآمنوا وعرفوا الطريق فسلكوها، فهو صراطهم الذي اختاروه وسلكوه، وهو صراط ربّهم الموصل إليه.

مَن هم الذين أنعم الله عليهم؟

ورد تحديد مصاديق أصحاب هذا الصراط في قوله -تعالى-: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾[5]، فأصحابه مُنعَم عليهم بنعمة الهداية، ونعمة الإيمان، ونعمة النفس المطمئنّة.

(1) سورة سبأ، الآية 6.
(2) سورة الأنعام، الآية 126.
(3) السورة نفسها، الآية 153.
(4) سورة الشورى، الآية 53.
(5) سورة النساء، الآية 69.

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

أي ليس المطلوب الهداية إلى الصراط الذي يسلكه مَن آل الأمرُ به إلى الضلال والغضب الإلهيّ.

من هم المغضوب عليهم؟ ومن هم الضالّون؟

قيل: إنّ المراد بالمغضوب عليهم اليهود، وبالضالّين النصارى[1]، وهو من باب التطبيق، خاصّة أنّ القرآن الكريم أخبر عن اليهود بأنّ الله غضب عليهم: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ﴾[2]، ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[3].

(1) انظر: العيّاشيّ، تفسير العيّاشيّ، مصدر سابق، ج1، ص24.
(2) سورة آل عمران، الآية 112.
(3) سورة النساء، الآية 136.

الفصل الرابع

نماذج تفسير موضوعيّ

النموذج الأول

القرآن في القرآن

منهجيّة القرآن الكريم في الهداية

لا شكّ في أنّ القرآن الكريم كتاب هداية. وقد برز هذا الهدف في كثير من آياته. وسنحاول في هذا السياق استكشاف منهجيّة القرآن في الهداية. ويمكن للمتأمّل والمتدبّر في آيات القرآن أن يستفيد مجموعة من الأسس والقواعد في هذا المجال، نذكر بعضاً منها وفق الآتي:

1. يدعو القرآن إلى التدبّر في آيات القرآن الكريم: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[1]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾[2].
2. يدعو إلى التفكير والتأمّل في الآيات الكونيّة المحسوسة الدالّة على عظمة الخالق: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾[3] ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾[4].

(1) سورة ص، الآية 29.
(2) سورة محمّد، الآية 24.
(3) سورة العنكبوت، الآية 20.
(4) سورة فصّلت، الآية 53.

3. يستنطق الوجدان ويثير مكامن الفطرة السليمة: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

4. يذكّر بالنعم المحسوسة: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾[2].

5. كثيراً ما يقع الإنسان تحت تأثير الفكر الجماعيّ، وقد يمنعه ذلك من الرؤية بوضوح، فيدعو القرآن إلى الاستقلال ثمّ التفكير: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[3].

6. ينبّه إلى خطورة الانجرار وراء التقليد الأعمى والعصبيّة التي تُكبّل العقل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[4].

7. يستفيد من أسلوب التعجيز والتحدّي في محاورة أهل الدعوى الباطلة: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[5].

8. يستعمل أسلوب الاستدراج الذهنيّ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ

(1) سورة إبراهيم، الآية 10.
(2) سورة الواقعة، الآيات 68-72.
(3) سورة سبأ، الآية 46.
(4) سورة البقرة، الآية 170.
(5) السورة نفسها، الآية 111.

ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[1].

9. يعتمد أسلوب الأمثال.

10. يعتمد أسلوب الإشارة إلى مسلّمات العقل ودليله.

11. الاعتبار من قصص الأمم السابقة: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[2] ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[3] ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[4].

12. الترغيب والترهيب والوعد والوعيد: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[5]، وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[6].

القرآن الكريم كتاب هداية

1. ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[7].
2. ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾[8].

(1) سورة الملك، الآية 28.
(2) سورة آل عمران، الآية 137.
(3) سورة الأعراف، الآية 84.
(4) سورة النمل، الآية 14.
(5) سورة النساء، الآية 14.
(6) السورة نفسها، الآية 56.
(7) سورة البقرة، الآيتان 1 - 2.
(8) السورة نفسها، الآية 185.

3. ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].
4. ﴿طسٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].
5. ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾[3].
6. ﴿هَٰذَا هُدًىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾[4].

القرآن الكريم كتاب عبادة

1. عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قَالَ: «**أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْقِرَاءَةُ فِي الْمُصْحَفِ**»[5].
2. عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «**أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**»[6].

القرآن الكريم كتاب شفاء

1. ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[7].
2. ﴿هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌۚ﴾[8].

---

(1) سورة الأعراف، الآية 52.
(2) سورة النمل، الآيتان 1 - 2.
(3) سورة لقمان، الآيتان 2 - 3.
(4) سورة الجاثية، الآية 11.
(5) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج89، ص202.
(6) الشيخ الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق، مصدر سابق، ص44.
(7) سورة الإسراء، الآية 82.
(8) سورة فصّلت، الآية 44.

3. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

القرآن الكريم كتاب علم ومعرفة

1. ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[2].
2. ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾[3].
3. ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].
4. ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾[5].
5. ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾[6].
6. ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[7].
7. ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾[8].

---

(1) سورة يونس، الآية 57.
(2) سورة فصّلت، الآية 53.
(3) سورة الروم، الآية 20.
(4) السورة نفسها، الآية 21.
(5) السورة نفسها، الآية 22.
(6) السورة نفسها، الآية 23.
(7) السورة نفسها، الآية 24.
(8) السورة نفسها، الآية 25.

8. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

9. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[2].

10. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

11. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾[4].

12. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾[5].

(1) سورة الروم، الآية 46.
(2) سورة فصّلت، الآية 37.
(3) السورة نفسها، الآية 39.
(4) سورة الشورى، الآية 29.
(5) السورة نفسها، الآية 32.

النموذج الثاني

الجهاد في القرآن

تمهيد

يقول -تعالى- في محكم كتابه العزيز: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[1].

يطرح بعض المفكّرين بعض الإشكالات في ما يتعلّق بتشريع الجهاد، وقد يكون ذلك نابعاً من حسن نيّة أحياناً، وقد يكون نابعاً من سوء نوايا بعضهم. وتتمحور هذه الإشكاليّات حول الأسئلة الآتية:

لماذا شرَّع الله الجهاد في الإسلام؟

- ألم يكن بالإمكان التخلّي عن هذا التشريع؟
- ألم يكن بالإمكان جعل الإسلام دين سلامٍ ومحبّة بدلاً من تحويله إلى دين حرب وقتال؟
- ألم يكن بالإمكان نشر تعاليم الدين الإسلاميّ وإقناع الناس بها دون اللّجوء إلى السيف؟

(1) سورة الصف، الآيتان 10-11.

وأمثال ذلك من الأسئلة التي تفترض معالجة موضوع الجهاد وَفق الآيات القرآنيّة التي وردت في هذا الشأن.

ولا بدّ في البداية من الإشارة إلى الخدعة الكبرى التي يلجأ إليها الطواغيت، خاصّة في العصر الحاضر، فإنّ أكبر دعاة الحرب وأكثرهم عدوانيّة وظلماً في العالم المعاصر يلبسون إعلاميّاً لبوس السلام، ويزعمون أنّ حروبهم العدوانيّة والتوسّعيّة إنّما هي من أجل السلام وفي خدمته، بينما نجدهم ينعتون المدافعين عن حقوقهم المشروعة، والمقاومين لمشاريعهم العدوانيّة والتوسّعيّة بالإرهاب والعدوان.

وقبل الدخول في عرض الآيات القرآنيّة، لا بدّ من تلخيص جملة مقدّمات في نقاط:

أوّلاً: تقرّ الأديان السماويّة والأعراف البشريّة في مختلف الأزمنة والأمكنة بحقّ الأفراد والجماعات والأقوام والأمم في الدفاع عن الأنفس والأموال إذا تعرّضت للاعتداء والظلم، بل تمنحهم الحقّ في الدفاع عن حقوقهم المعنويّة، كالحرّيّة الفكريّة، والاستقلال، والشرف، والكرامة، وهم يبذلون في سبيل حمايتها الغالي والنفيس.

والحرب الدفاعيّة الهادفة إلى دفع الظلم والعدوان، واسترجاع الحقوق، وحفظ الاستقلال، وحماية الأموال والأنفس، وصيانة الشرف، هي حرب مقدّسة في نظر الدين والإنسان بشكل عامّ، قال

-تعالى-: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ﴾[1]، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾[2].

ثانياً: العدوان مستقبح، والظلم مرفوض، وقد جاءت الأديان الإلهيّة، ومنها الإسلام، لترفض ذلك، وتحرّر الإنسان من الظلم، ولترسي دعائم العدالة الاجتماعيّة، وهذا أمر لا شكّ فيه، قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[3].

ثالثاً: امتلاك القوّة والسلاح، والاستعداد لمواجهة الظلم المفترض والمحتمل، من شأنهما أن يشكّلا مناعة وحصانة تحولان دون تحقيق الظالم لأطماعه في كثير من الأحيان، بل ربّما ردعُه عن التفكير في الإقدام على العدوان؛ وبناءً عليه، فإنّ الإعداد والاستعداد إذا لم يدفعا إلى العدوانيّة فهما أمر مستحسن وضروريّ جدّاً، قال -تعالى-: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾[4].

رابعاً: عندما بُعث رسول الله ﷺ في مكّة المكرّمة، قضى ثلاثة عشر عامّاً يدعو الناس إلى الإسلام، وإلى عبادة الله ونبذ عبادة الحجر والبشر، وتعرّض هو والذين آمنوا معه لأشدّ أنواع الاضطهاد والأذى، حتّى اضطُرّ إلى الهجرة من مكّة دون أن يُؤذن له بالقتال.

خامساً: إنّ أوّل آية شرّعت الجهاد وقتال المشركين جاءت

(1) سورة البقرة، الآية 191.
(2) سورة الحج، الآية 39.
(3) سورة البقرة، الآية 190.
(4) سورة الأنفال، الآية 60.

صريحة بأنّها تدعو إلى حرب دفاعيّة لمواجهة الظلم، فقد قيل إنّ أوّل إذن بالجهاد كان في قوله -تعالى-: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾[1].

وقيل إنّ أوّل آية في القتال هي قوله -تعالى-: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾[2].

وقد عُلّل الإذن في الآية الأولى بدفع الظلم، وجاء ذلك بعد أن أُخرِجوا من ديارهم واعتدي على أهمّ حقّ من حقوقهم، وهو عبادة ربّهم.

أمّا الآية الثانية، فقد حصرت الأمر بالذين يقاتلونهم، الأمر الذي يجعل الحرب دفاعيّة بالكامل، وقد منعت الآية من الاعتداء، وحرّمت قتال من لم يقاتل، وجاءت الآية التالية لتشير إلى أنّ القتال إنّما هو لدفع الظلم واستعادة الحقوق.

سادساً: هذه القاعدة أو هذا الأصل لم يتغيّر بعد ذلك في جميع الآيات الواردة في القتال والحرب. وهذا ما سنستعرضه في النقاط الآتية.

(1) سورة الحج، الآيتان 39-40.
(2) سورة البقرة، الآيتان 190-191.

آيات القتال

يمكن تقسيم آيات القتال في القرآن الكريم إلى طوائف:

الطائفة الأولى: الآيات المطلقة:

1. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].
2. ﴿فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ﴾[2].
3. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ﴾[3].

الطائفة الثانية: الآيات المقيَّدة، وهي موزّعة على قيود:

1.آيات مقيّدة بردّ العدوان:

1. ﴿فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[4].
2. ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ﴾[5].
3. ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[6].
4. ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟﴾[7].

---

(1) سورة التوبة، الآية 73.
(2) سورة النساء، الآية 74.
(3) سورة التوبة، الآية 123.
(4) سورة البقرة، الآية 191.
(5) سورة التوبة، الآية 36.
(6) سورة البقرة، الآية 190.
(7) سورة المائدة، الآية 33.

2.آيات مقيّدة بنقض العهود والأَيمان:

1. ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[1].
2. ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[2].

3.آيات مقيّدة بالبغي:

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ﴾[3].

4.آية مقيَّدة بدفع الجزية أو هي مغياة بذلك:

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[4].

مقتضى الجمع بين الآيات هو تقييد الآيات في الطائفة الأولى بالمجموعة الأولى والثانية من الطائفة الثانية، حيث يكون الإذن بالقتال لردع المعتدين ومواجهة الظلم والخيانة ونقض العهود، فتحمل الآيات التي تحرّض على القتال، والتي تتحدّث عن فضل المجاهدين، وتحثّ على الجهاد، على الإذن بالجهاد في سبيل دفع الظلم، فإنّ المتتبّع لسيرة الرسول ﷺ يجد أنّ الحروب كلّها التي

(1) سورة الأنفال، الآية 58.
(2) سورة التوبة، الآية 12.
(3) سورة الحجرات، الآية 9.
(4) سورة التوبة، الآية 29.

خاضها ﷺ كانت دفاعيّة، كما سيتبيّن معنا في القسم الثاني من هذا البحث.

أمّا القتال لدفع البغي وردع الباغي، فلا يفرّق فيه بين بغي الكفّار وبغي المسلمين، إذا لم يندفع إلّا بالقتال، كما هو صريح الآية المتقدّمة.

تبقى لدينا آية واحدة، وهي الآية الأخيرة الواردة في قتال أهل الكتاب، والتي تبدو للوهلة الأولى أنّها توجب قتال أهل الكتاب حتّى يؤمنوا أو يؤدّوا الجزية أو يُقتَلوا، وهي وإن كانت مغيّاة بذلك، إلّا أنّ الكلام في استفادة الوجوب المطلق من ناحية القيود الواردة في الآيات السابقة؛ أي متى يجب قتالهم؟

- هل لمجرّد الامتناع من الإيمان؟
- أم عند خيانتهم وتآمرهم واعتدائهم؟

خاصّة أنّ من الآيات القرآنيّة ما هو صريح في اعتماد أساليب الإقناع في الدعوة، كما في قوله -تعالى-: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1].

ومن المعلوم أنّ الإيمان لا يمكن أن يتحقّق بالإكراه، ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[2]. ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[3].

(1) سورة النحل، الآية 125.
(2) سورة البقرة، الآية 256.
(3) سورة يونس، الآية 99.

وقد ذهب بعض إلى أنّ آية قتال أهل الكتاب ناسخة لما سبقها؛ وذلك باعتبار أنّها متأخّرة نزولاً (نزلت مع سورة براءة بعد فتح مكّة في سنة تسع للهجرة).

إلّا أنّه يمكن القول إنّها غير ناسخة، وإنّما جاءت في ظلّ ظروف خارجيّة معروفة، وذلك بعد أن تآمرت قبائل اليهود مع المشركين، ونكثوا العهود والمواثيق، وكذلك فعل غيرهم ممّن لم يعجبه انتشار الإسلام وتعاظم دوره في الجزيرة، حتّى إنّ الخارجين عن حدود الجزيرة بدأوا ينظّمون تحرّكاً لمهاجمة الدولة الفتيّة؛ ممّا دفع الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم للخروج إلى تبوك.

هذه الظروف يمكن أن تشكّل قرينة تمنع الإطلاق.

ومهما يكن، فإذا كان الجهاد الابتدائيّ الذي يقصد منه الدعوة إلى الإسلام -كما يقال- مشروطاً بحضور الإمام المعصوم على رأي المشهور، وهو المسؤول عن بيان الحكم الشرعيّ، فينحصر البحث في زمان غيبته بالجهاد الدفاعيّ، إلّا إذا اعتبرنا أنّ الفقيه الجامع لشرائط الولاية والنيابة العامّة يقوم مقام الإمام المعصوم في الجهاد الابتدائيّ أيضاً.

والذي يهوّن علينا البحث أنّ أعداء الدين الإسلاميّ لم يألوا جهداً في محاربة الإسلام، واضطهاد المسلمين، والسعي الدؤوب لفتنتهم عن دينهم، والإيقاع بينهم، والاستيلاء على ثرواتهم، وسلبهم حرّيّاتهم وغير ذلك من صنوف الظلم والعدوان.

ومن هنا، ورد الحثّ على الجهاد والتشجيع على الإعداد

والاستعداد، فإنّ في الدفاع ما يكفي لهذا الكمّ الهائل من الآيات التي تأمر بالجهاد، وتدعو إليه، وتبيّن أهمّيّته، وتظهر الوعد الإلهيّ للمجاهدين بالنصر والتسديد والإمداد.

ومن الجدير بالذكر هنا، أنّ الدفاع لدفع الظلم له دائرة واسعة تتناول الآتي:

أوّلاً: الدفاع عن الثروات المستهدفة، والتي يطمع بها الأعداء.

ثانياً: الدفاع عن السيادة والاستقلال والأمن الاجتماعيّ.

ثالثاً: الدفاع عن الأرض والسماء.

رابعاً: الدفاع عن الحرّيّات؛ حرّيّة الأفراد، وحرّيّة الأمّة وعلى رأسها حرّيّة التفكير وإبداء الأفكار وعرضها.

وليس لأحد الحقّ في التنازل عن هذه الحقوق الإنسانيّة، ولا أن يفرّط فيها، ولا يمكن لأمّة أن تعيش بعزّة وكرامة من دون قوّة رادعة تحمي هذه الحقوق. ويمكن أن نستفيد ذلك من قوله -تعالى-: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2]. هذه الآية الأخيرة جاءت بعد آية الإذن بالقتال مباشرة، وقد علّلت الإذن بالعدوان الواقع، حيث يقول -تعالى-: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ

(1) سورة البقرة، الآية 251.
(2) سورة الحجّ، الآية 40.

﴿٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾[1].

فقد أذنت الآية بالقتال من أجل إزالة العوائق من طريق الدعوة إلى الله، وذلك عندما يصرّ الظالمون على سدّ الطريق أمامها، ومنع صوت الدعوة من الوصول إلى الناس كافّة، مثل هذا القتال يأخذ طابع الدفاع عن الحقوق الإنسانيّة؛ لأنّ من حقّ كلّ إنسان أن يسمع نداء الحقّ.

ويمكن لنا من خلال استعراض السيرة الجهاديّة لرسول الله ﷺ أن نتلمّس تفسيراً عمليّاً لآيات الجهاد.

(1) سورة الحجّ، الآيتان 39-40.

النموذج الثالث

أهل البيت عليهم السلام والقرآن الكريم

تمهيد

لا شكّ في أنّ ثمّة ترابطاً وثيقاً وتكاملاً وانسجاماً تامّاً بين القرآن الكريم وبين أهل بيت العصمة والطهارة. وقد أبرز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك في أكثر من موقف وفي أكثر من نصّ، منها الحديث المتواتر المشهور بحديث الثقلين: «**إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض...**»[1].

ومنها الحديث الوارد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ**»[2].

وظاهر هذه النصوص وغيرها عدم الاستغناء بأحد الثقلين عن الآخر؛ لأنّها جعلت العاصم من الضلالة متجسّداً بالاثنين معاً، كما أنّها تنصّ على التلازم والترابط بينهما، بحيث لا يمكن مخالفة

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج2، ص194؛ ابن المغازليّ، مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، تحقيق: أبو عبد الرحمن تركيّ بن عبد الله الوادعيّ، دار الآثار، صنعاء، 1424هـ.ق/2003م، ط1، ص235؛ الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، معاني الأخبار، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قمّ المقدّسة، 1379هـ.ق/1338هـ.ش، لا.ط، ص90؛ ابن حنبل، مسند أحمد، مصدر سابق، ج3، ص17.

(2) العلاّمة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج22، ص476.

أحدهما للآخر، ولا افتراق أحدهما عن الآخر؛ الأمر الذي يجسّد المعيّة التامّة في أكمل صورها.

العلاقة بين أهل البيت عليهم السلام والقرآن

لمزيد من التفصيل في العلاقة بين أهل البيت عليهم السلام والقرآن، يمكن لنا أن نوزّع البحث على نقاط:

النقطة الأولى:

دور القرآن الكريم في تثبيت مرجعيّة أهل البيت عليهم السلام العلميّة والسياسيّة. وقد أُكّد ذلك في آيات كثيرة، أهمّها:

1. **آية التطهير:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[1]، التي نزلت في أهل البيت الخمسة الموجودين في زمان نزولها، والذين طبّق عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآية عمليّاً، فأحاطهم بكسائه الخيبريّ قائلاً: «**اللّهمّ، هؤلاء هم أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً**»[2]. وخطابه صلى الله عليه وآله وسلم في الرواية يدلّ على الحصر، وعلى أنّهم المعنيّون بالآية دون سواهم من الناس. والآية تثبت عصمتهم وطهارتهم، كما تؤكّد ثبوت المرجعيّة الشاملة والمطلقة لهم عليهم السلام.

(1) سورة الأحزاب، الآية 33.

(2) الترمذيّ، محمّد بن عيسى، سنن الترمذيّ، تحقيق وتعليق: أحمد محمّد شاكر ومحمّد فؤاد عبد الباقي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ، مصر، 1395هـ.ق/1975م، ط2، ج5، ص141.

2. **آية أولي الأمر:** ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[1]، التي وردت روايات عدّة عن الصادقين عليهم السلام في تفسيرها، وفيها أنّ أُولي الأمر هنا هم الأئمّة من أهل بيت النبوّة عليهم السلام، أوجب الله طاعتهم على الإطلاق، كما أوجب طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يجوز الأمر بالطاعة على الإطلاق إلّا لأهل العصمة وأهل الطهارة، الذين يجسّدون الدين في جوانبه كافّة؛ المعرفيّة والعلميّة والروحيّة، وهم أهل البيت عليهم السلام.

3. **آية الولاية:** ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[2]، التي تواتر نزولها في عليّ عليه السلام عندما تصدَّق بخاتمه وهو راكع في صلاته، والوليّ هنا هو الذي يمكن موالاته ومتابعته بقول مطلق والارتباط به بشكل كامل ودائم، وإذا تأمّلنا بالعطف على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الله -عزّ وجلّ- فإنّنا يمكن أن نستفيد وحدة الولاية، وأنّها ولاية واحدة لها تجلّيات. فطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي طاعة لله، والولاية للرسول ولاية لله (من أطاع الرسول فقد أطاع الله)[3]. فكذلك بالنسبة إلى عليّ عليه السلام والأئمّة المعصومين من وُلده.

4. **آية المباهلة:** ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ من

(1) سورة النساء، الآية 59.
(2) سورة المائدة، الآية 55.
(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص143.

المعروف أنّه عندما خرج رسول الله ﷺ إلى المباهلة أخرج معه عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، مكرّساً بذلك المنزلة الخاصّة لتلك الثلّة، والتي جعلت الرسول ﷺ يُقبل على المباهلة بهم، ويُقسم على الله بهم لإثبات الحقّ، وهذه النقطة تجعلهم محلًّا للرسالة والإمامة، وباباً من أبواب النجاة وصراط الحقّ الذي يصل بمن سلكه إلى الله.

5. **المودّة في القربى:** ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ ثمّة آيات عدّة تأمر بمودّة أهل البيت عليهم السلام بعنوان القربى، وبسؤالهم باعتبارهم أهل الذكر، وأنّهم لكلّ قوم هادٍ، وأمثال ذلك.

وقد صنّف العلماء في الآيات النازلة بفضل أهل البيت عليهم السلام كثيراً من الكتب، لعلّ من أشهرها: (شواهد التنزيل) للحاكم الحسكانيّ، و(شواهد التنزيل لمن خصّ بالتفضيل) لابن رويش الأندونيسيّ، و(ما نزل من القرآن في عليّ عليه السلام) للحسين بن الحكم الحبريّ، وغيرها.

النقطة الثانية:

إنّ القرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ الخالدة، وعهد الله إلى خلقه، فهو كتاب عربيّ مبين، لكنّه يختلف عن غيره من الكتب. ويظهر هذا الاختلاف من خلال استعراض حقائق ثلاث لا يمكن تجاهلها:

أوّلها: إنّ القرآن الكريم -بوصفه كتاب هداية، ومصدراً للفكر والمعرفة والشريعة- هو كتاب شامل -من حيث الموضوع- لكلّ شيء، وفيه بيان لكلّ شيء ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ

شَيْءٍ﴾[1]. وقد أظهرت الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة هذه الحقيقة، كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الله لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلى يوم القيامة إلّا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله، وجعل لكلّ شيء حدّاً، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه**»[2].

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله**»[3].

لكنّ العبرة في كيفيّة استخراج ذلك واستنباطه منه، ومن هو القادر على ذلك.

ثانيها: إنّ القرآن الكريم كتاب خالد أنزله الله على رسوله ليكون دليلاً ومرشداً، وسراجاً منيراً لكلّ عصر ولكلّ دهر، فهو لم ينزل لزمان دون زمان، ولا لعصر دون عصر. وهذه شموليّة من حيث الزمان، بعد أن كان القرآن شاملاً من حيث الموضوع لكلّ شيء؛ إذ يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام في هذا السياق: «**إنّ الله -تبارك وتعالى- لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كلّ زمان جديد، عند كلّ قوم غضّ إلى يوم القيامة**»[4].

(1) سورة النحل، الآية 89.
(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج7، ص176.
(3) المصدر نفسه، ج1، ص60.
(4) الطوسيّ، الشيخ محمّد بن الحسن، الأماليّ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة - مؤسّسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، إيران - قم، 1414هـ، ط1. ص580.

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: «**إنّ القرآن حيٌّ لا يموت... يجري على آخرنا كما يجري على أوّلنا**»[1].

ثالثها: شموليّة القرآن لجميع المخاطبين من البشر، على اختلاف مستوياتهم الإدراكيّة والعلميّة والاجتماعيّة والمعيشيّة، فهو يخاطب عوامّ الناس كما يخاطب علماءهم، ويخاطب أدنى الناس منزلة وأرفعهم شأناً، ويعطي لكلّ إنسان ما يتناسب مع قدراته الإدراكيّة، ويدلّ على ذلك الرواية السابقة. ولعلّ هذا الأمر هو الذي يجعل من القرآن الكريم معجزة بلاغيّة، فإنّ الكلام ينبغي أن يراعي أوضاع المخاطبين من حيث القدرة على الفهم وإدراك الخطاب والمضمون الذي يريد المتكلّم أن يوصله إليه، وهو ما يعبّر عنه بمراعاة مقتضى الحال. وكلّما زادت الشريحة المخاطبة وتنوّعت واختلفت في مستويات الإدراك والفهم، كلّما تعقّدت مهمّة المتكلّم، وتضاعفت الصعوبات في جعل الكلام متناسباً مع الجميع، ومراعياً لمقتضيات أحوال الجميع. فإذا بلغت شريحة المخاطبين بالرسالة أو بالكلام حدّاً يشمل البشر كلّهم في كلّ مكان وفي كلّ زمان، خرج الأمر عن طاقة المتكلّمين من الناس، وانحصر في الكلام الإلهيّ المعجزة. وهذا الأمر يفرض أن يكون للآية ظهر وبطن، ولكلّ بطن بطن -كما ورد في بعض النصوص المأثورة-، ليكلّم كلّ فريق بما يناسب فهمه وقدراته الإدراكيّة والمعرفيّة.

يروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**كتاب الله -عزّوجلّ- على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق،**

(1) العيّاشيّ، تفسير العيّاشيّ، مصدر سابق، ج2، ص204.

فالعبارة للعوامّ، والإشارة للخواصّ، واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء»[1].

وليس هذا من باب احتكار العلم والمعرفة، وليس حجباً للحقيقة عن أحد، وإنّما هو من باب مراعاة فَهْم كلّ إنسان واستيعابه، وإلّا فإنّ الله -تعالى- جوادٌ كريم لا بخل في ساحته، ولا يحجب عن أحد من خلقه شيئاً من الرحمة والهداية والعلم والمعرفة، وإنّما الإنسان نفسه هو الذي يحجب ذلك عندما يكتفي بالنزر اليسير من العلم والحدّ القليل من الإدراك، ولا يسعى لتنمية عقله وتزكية نفسه، وتصفية سريرته ممّا له مدخليّة في تقوية البصيرة، وصقل مرآة النفس، الأمر الذي يعينه على الوصول إلى بعض مستويات الحقيقة.

النقطة الثالثة:

عدم جواز الاستغناء بالقرآن الكريم عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

فقد كان من مهامّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبليغ القرآن، وتفسيره للناس، وتعليمهم إيّاه. ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]. والتبيان لا يقتصر على التلاوة، بل يتعدّاها إلى التفسير ورفع الإجمال والتشابه، وغير ذلك ممّا يوصل الناس إلى أغراض القرآن الكريم، ويحول دون الاختلاف فيه.

(1) الديلميّ، الحسن بن محمّد، أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، إيران - قم، لا.ت، لا.ط، ص303.
(2) سورة النحل، الآية 44.

وقد أودع رسول الله ﷺ علومه عليّاً عليه السلام والأئمّة الأطهار من وُلده عليهم السلام، وعبّر عن ذلك في الحديث المستفيض، بل المتواتر: «**أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتِ الباب**»[1].

ولم يكن ذلك تقصيراً من رسول الله ﷺ -والعياذ بالله- في تبليغ الشريعة ومعارف الدين، أو كتماناً لشيء من العلوم التي بعث لنشرها، بل لأنّه ﷺ لم يجد وعاءً يعي، ولا قلباً يستوعب كلّ ما عنده، وكلّ ما نزل عليه، إلّا الأئمّة الأطهار ممّن اصطفاهم الله واختارهم بعد أن وجد فيهم من سموّ النفس وطهارتها، حيث انقطعوا إلى بارئهم ومصوّرهم، حتّى اختصّهم الله بدرجة العصمة، فحمّلهم رسالته، وائتمنهم على وحيه المنزل على رسوله.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الله -جلّ ذكره- قسّم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل، وقسماً لا يعرفه إلّا من صفا ذهنه، ولطف حسّه، وصحّ تمييزه، ممّن شرح الله صدره للإسلام، وقسماً لا يعرفه إلّا الله وأنبياؤه والراسخون في العلم...

وكما كان رسول الله ﷺ يبحث عن الأوعية التي يمكن لها أن تستوعب دقائق المعارف والعلوم، وأسرار الكتاب، وكذلك عن

(1) ابن شعبة الحرّانيّ، الحسن بن عليّ، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قمّ المقدّسة، 1404هـ.ق/ 1363هـ.ش، ط2، ص430.

أمير المؤمنين عليه السلام من بعده، حيث روي عنه أنّه كان يقول مشيراً إلى صدره: «**إنّ ها هنا لعلماً جمّاً لو أصبت له حملة**»[1].

ولعلّ هذه العلوم والمعارف التي يتحدّث عنها هي من القسم الثالث الذي اختُصّوا به وائتمنوا عليه، وأُمروا أن يوصلوه إلى من يتحمّله.

والقرآن الكريم يدخل في جملة تلك العلوم، خاصّة في ما يحتويه من بطون وأعماق للمعاني، وما يحتاج إليه من تأويل للمتشابه، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ليس من القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن، وما من حرف إلّا وله تأويل، وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم**»[2].

لكن من هم الراسخون في العلم؟

إنّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الأطهار من بعده، وهو المرويّ عنهم عليهم السلام، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الراسخين في العلم، قد علّمه الله -عزّوجلّ- جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلّمه تأويله**»[3]، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله**»[4].

(1) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق وتصحيح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، نشر مكتبة آية الله المرعشيّ النجفي، إيران - قم، 1404هـ، ودار إحياء الكتب العربيّة - عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاه، 1378هـ - 1959م، ط1، ج4، ص36.
(2) العلاّمة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج33، ص155.
(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص213.
(4) المصدر نفسه.

وقد ورد عن سليمان الأعمش عن أبيه قال: قال عليّ عليه السلام: **«ما نزلت آية إلّا وأنا علمت فيمن أنزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً طلقاً»**[1].

وأنّه قال: **«... وما نزلت عليه -على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم- آية في ليل ولا نهار، ولا سماء ولا أرض، ولا دنيا ولا آخرة، ولا جنّة ولا نار، ولا سهل ولا جبل، ولا ضياء ولا ظلمة، إلّا اقرأنيها وأملاها عليّ، وكتبتها بيدي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعامّها، وأين نزلت، وفيم نزلت إلى يوم القيامة»**[2].

يدلّ هذا كلّه على أنّ القرآن الكريم بما فيه من لطائف ودقائق، وما فيه من إشارات ودلائل، ليس في متناول الأفهام القاصرة والمدارك المحدودة، ما لم تتمّ الاستعانة بأهل بيت العصمة والطهارة، الذين قرنهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم به في وصيّته الشهيرة: «إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما...»[3].

ولقد كان من لطف الله على خلقه أنّه لم يتركهم ليضلّوا ويضيعوا، وإنّما نصب لهم هداةً يرجعون إليهم فيما اختلفوا فيه؛ ليبيّن لهم ويدلّهم على طريق الهداية والصواب. ولا شكّ في أنّ القرآن لا يرفع الاختلاف وحده ولم يرفعه فيما مضى، وهذا يثبت حاجة الناس إلى إمام يحمل الكتاب، ويعلم ما فيه؛ ليرفع اختلافهم،

(1) العيّاشيّ، تفسير العيّاشيّ، مصدر سابق، ج1، ص17.
(2) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول من آل الرسول عليهم السلام مصدر سابق، ص196.
(3) تقدّمت المصادر.

ويستخرج لهم كوامنه وجواهره ودرره، وفيه كلّ ما يحتاج إليه الناس: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾[1].

إلّا أنّ أفهامنا لا تصل إلى كلّ شيء، فكان لا بدّ من الاستعانة بمن لديهم كلّ شيء، وهو ما تحدّث عنه الإمام الصادق عليه السلام عندما قال: «**والله، إنّي لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره كأنّه في كفّيّ، فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، قال الله -عزّ وجلّ-: فيه تبيان كلّ شيء**»[2].

فالعاقل لا يجد بدّاً من سلوك الطريق الموصل والآمن، والذي يبلغ به الغاية، ومن يجد النبع الصافي لا يستبدله بالمستنقعات الآسنة. والقضيّة قضيّة مصير وقضيّة نجاة من موتٍ محتّم، بل هي نجاة من هلاك دائم وأبديّ يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

وأختم بما ورد عن منصور بن حازم عندما أخبر الإمام الصادق عليه السلام عن محاورة جرت معه في رواية طويلة نقتبس منها ما يرتبط بالمقام:

قال منصور: قلت: فحين مضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان الحجّة من الله على خلقه؟ قالوا: القرآن، فنظرت في القرآن، فإذا هو يُخاصِم به المرجئ والقدريّ والزنديق الذي لا يؤمن به حتّى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجّة إلّا بقيّم، فما قال فيه من شيء كان حقّاً.

(1) سورة الأنعام، الآية 38.
(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص229.

فقلت لهم: من قيّم القرآن؟ فقالوا: ابن مسعود قد كان يعلم، وعمر يعلم، وحذيفة يعلم، قلت: كلَّه؟ قالوا: لا، فلم أجد أحداً يقال إنّه يعرف ذلك كلّه إلّا عليّاً عليه السلام. وإذا كان الشيء بين القوم فقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: أنا أدري، فأشهد أنّ عليّاً كان قيّم القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجّة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ ما قال في القرآن فهو حقّ. فقال عليه السلام: «**رحمك الله**»[1].

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص169.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. السبزواريّ، الشيخ محمّد، معارج اليقين في أصول الدين، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، إيران - قم، 1410هـ/1993م، ط1.
3. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب حوزه، قمّ المقدّسة، 1405هـ.ق/1363هـ.ش، لا.ط.
4. البرقيّ، أحمد بن محمّد بن خالد، المحاسن، تصحيح وتعليق: السيّد جلال الدين الحسينيّ، دار الكتب الإسلاميّة، إيران - طهران، 1370هـ/1330 ش، لا.ط.
5. الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تصحيح: الشيخ حسين الأعلميّ، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، لبنان - بيروت، 1404هـ/1984م، لا.ط.
6. الكلينيّ، الشيخ محمّد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلاميّة؛ مطبعة حيدريّ، طهران، 1365هـ.ش، ط4.
7. الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، الأماليّ، تحقيق: قسم

الدراسات الإسلاميّة - مؤسّسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة، إيران - قم، 1417هـ، ط1.
8. الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، التوحيد، تصحيح وتعليق: السيّد هاشم الحسينيّ الطهرانيّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرّفة، إيران - قم، لا.ت، لا.ط.
9. المجلسيّ، العلّامة محمّد باقر بن محمّد تقيّ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، مؤسّسة الوفاء، لبنان - بيروت، 1403هـ/1983م، ط2.
10. الصفّار، محمّد بن الحسن بن فرّوخ، بصائر الدرجات، تصحيح: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، منشورات الأعلميّ، إيران - طهران، 1404هـ - 1362ش، لا.ط.
11. البيهقيّ، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، دار الفكر، لبنان - بيروت، لا.ت، لا.ط.
12. الشريف الرضيّ، محمّد بن الحسين، نهج البلاغة (الجامع لخطب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ورسائله وحكمه)، شرح: محمّد عبده، دار الذخائر، مطبعة النهضة، قمّ المقدّسة، 1412هـ.ق/ 1370هـ.ش، ط1.
13. أبو جعفر الإسكافي، محمد بن عبدالله المعتزلي، المعيار والموازنة، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، لا.ن، لا.م، 1402 - 1981م، ط1.
14. مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، قدم له وحققه و علق حواشيه: عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي - مجمع البحوث

الإسلامية - إسلام آباد، لا.ن، لا.م، لا.ت، لا.ط.
15.السيّد المرتضى، عليّ بن الحسين الموسويّ، الانتصار، تحقيق: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرفة، إيران - قم، 1415هـ، لا.ط.
16.الحاكم النيسابوريّ، محمّد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1411هـ.ق/1990م، ط1.
17.الطبرسيّ، الشيخ الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: لجنة من العلماء والمحقّقين، مؤسّسة الأعلميّ، بيروت، 1415هـ.ق/1995م، ط1.
18.السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، لا.م، 1394هـ.ق/1974م، لا.ط.
19.ابن البطريق، يحيى بن الحسن، عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، تحقيق: مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم، 1407هـ.ق، لا.ط.
20.ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، دار صادر، بيروت، لا.ت، لا.ط.
21.ابن عساكر، عليّ بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمرويّ، دار الفكر، لا.م، 1415هـ.ق/1995م، لا.ط.
22.القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، لبنان - بيروت،

دار إحياء التراث العربي، 1405هـ - 1985م، ط2.
23.ابن الأثير، عليّ بن أبي الكرم، أسد الغابة، دار الكتاب العربيّ، لبنان - بيروت، لا.ت، لا.ط.
24.الطبريّ، محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تقديم: خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطّار، دار الفكر، بيروت، 1415هـ-.ق/1995م، لا.ط.
25.الذهبيّ، محمّد بن أحمد، تذكرة الحفّاظ، لبنان - بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، لا.ت، لا.ط.
26.الصفديّ، خليل بن ايبك، الوافي بالوفيّات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركيّ مصطفى، دار إحياء التراث، لا.م، 1420هـ/2000م، لا.ط.
27.الذهبيّ، محمّد، التفسير والمفسّرون، مكتبة وهبة، القاهرة، لا.ت، لا.ط.
28.ابن خلكان، أحمد بن محمّد، وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثقافة، لبنان، لا.ت، لا.ط.
29.التستريّ، محمّد تقيّ، قاموس الرجال، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم، 1419هـ.ق، ط1.
30.الذهبيّ، محمّد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، إشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق حسين الأسد، مؤسّسة الرسالة، لبنان - بيروت، 1413هـ - 1993م، ط9.
31.الطبرسيّ، الميرزا حسين النوريّ، خاتمة المستدرك، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، إيران - قم،

1415هـ.ق، ط1.
32.آقا بزرگ الطهرانيّ، الشيخ آقا بزرگ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، لبنان - بيروت، 1403هـ/1983م، ط3.
33.الذهبيّ، محمّد بن أحمد، ميزان الاعتدال، تحقيق: عليّ محمّد البجاويّ، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، 1382هـ/1963م، ط1.
34.الحسنيّ، السيّد هاشم معروف، تاريخ الفقه الجعفريّ، قدّم له محمّد جواد مغنيّة، دار النشر للجامعيّين، لا.ت، لا.ط.
35.النمازيّ، الشيخ عليّ الشاهروديّ، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن عليّ النمازيّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرّفة، إيران - قم، 1418هـ، لا.ط.
36.ابن النديم البغدادي، محمد بن أبي يعقوب، فهرست ابن النديم، تحقيق: رضا - تجدد، لا.ن، لا.م، لا.ت، لا.ط.
37.الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان - بيروت، 1403هـ - 1983م، ط4.
38.المزي، يوسف، تهذيب الكمال، تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، 1406 - 1985م، ط4.
39.ابن سعد، محمّد، الطبقات الكبرى، لبنان - بيروت، دار صادر، لا.ت، لا.ط.

40. العيّاشيّ، ابن مسعود، تفسير العيّاشيّ، تحقيق: هاشم الرسوليّ المحلّاتيّ، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، طهران، لا.ت، لا.ط.
41. المقداد السيّوريّ، الفاضل المقداد بن عبد الله، كنز العرفان في فقه القرآن، تعليق: محمّد باقر شريف زاده، إشراف وتصحيح وتخريج: محمّد باقر البهبوديّ، المكتبة الرضويّة، مطبعة حيدريّ، طهران، 1384هـ.ق/1343هـ.ش، لا.ط.
42. ابن شهرآشوب، محمّد بن عليّ، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، تحقيق وتصحيح وشرح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، 1376هـ.ق/1956م، لا.ط.
43. الإربليّ، عليّ بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام، دار الأضواء، بيروت، 1405هـ.ق/1985م، ط2.
44. الطباطبائيّ، السيّد محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قمّ المقدّسة، لا.ت، لا.ط.
45. الواسطيّ الليثيّ، عليّ بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ، دار الحديث، قمّ المقدّسة، 1376هـ.ش، ط1.
46. الآمديّ، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق: مصطفى الدرايتيّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قمّ المقدّسة، 1986م، ط1.
47. ابن ورّام، ورّام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، دار الكتب الإسلاميّة، مطبعة حيدريّ، طهران، 1368هـ.ش، ط2.

48.التفسير المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، مطبعة مهر، قم المقدّسة، 1409هـ.ق، ط1.

49.القمّيّ، عليّ بن إبراهيم، تفسير القمّيّ، تصحيح وتعليق وتقديم: طيّب الموسويّ الجزائريّ، مؤسّسة دار الكتاب، قمّ المقدّسة، 1404هـ.ق، ط3.

50.ابن المغازليّ، مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، تحقيق: أبو عبد الرحمن تركيّ بن عبد الله الوادعيّ، دار الآثار، صنعاء، 1424هـ.ق/2003م، ط1.

51.الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، معاني الأخبار، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قمّ المقدّسة، 1379هـ.ق/1338هـ.ش، لا.ط.

52.الترمذيّ، محمّد بن عيسى، سنن الترمذيّ، تحقيق وتعليق: أحمد محمّد شاكر ومحمّد فؤاد عبد الباقي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ، مصر، 1395هـ.ق/1975م، ط2.

53.الطوسيّ، الشيخ محمّد بن الحسن، الأماليّ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة - مؤسّسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، إيران - قم، 1414هـ، ط1.

54.الديلميّ، الحسن بن محمّد، أعلام الدين في صفات المؤمنين،

تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، إيران - قم، لا.ت، لا.ط.

55.ابن شعبة الحرّانيّ، الحسن بن عليّ، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قمّ المقدّسة، 1404هـ.ق/1363هـ.ش، ط2.

56.ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق وتصحيح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، نشر مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، إيران - قم، 1404هـ، ودار إحياء الكتب العربيّة - عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاه، 1378هـ/1959م، ط1.